



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 08 ماي 1945 قالمة

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة



تخصص: فلسفة تطبيقية

البيواتيقا عند جاكين روس

مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص فلسفة تطبيقية

إشراف الأستاذة:

فايزة بغياني

إعداد الطالبة:

• بشيش خديجة

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
فرحات فريدة	8 ماي 1945 - قالمة-	رئيسا
فايزة بغياني	8 ماي 1945 - قالمة-	مشرفا ومقررا
بن أعمار مفتاح	8 ماي 1945 - قالمة-	مناقشا

السنة الجامعية: 2025/2024

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

الشكر لله سبحانه وتعالى أولا وأخيرا على توفيقى لأداء هذه المذكرة فهو صاحب الفضل الأعظم.

بكل مشاعر التقدير والإمتنان أتقدم بكل عبارات العرفان وخالص الشكر والإحترام إلى أستاذتي الفاضلة والمشرفة الكريمة الدكتورة "فايزة بغياني" على كل توجيهاتها العلمية وملاحظاتها وصبرها الكبير خاصة معاملتها الطيبة.

كما أخص بالشكر كل أساتذة قسم الفلسفة جامعة قلمة على حسن التأطير والتكوين،
الشكر لزملائي وزميلاتي دفعة 2025.

أعضاء لجنة المناقشة الذين تشرفنا لحضورهم لمناقشة هذا العمل على رأسهم الدكتورة الفاضلة "فرحات فريدة" كل التقدير و الإحترام.

كما أتقدم بتحية عطرة للأستاذ الدكتور "مفتاح بن أعمر" وكذا أبناء قسم الفلسفة "بشيش حنان" و "بوعتار آية" على تقديمهم المساعدة والتوجيهات القيمة، وأخص بالشكر أختي "وصال" على تقديمها يد العون في إنهاء هذه المذكرة.

في الأخير أقدم خالص الشكر للأستاذة المؤطرة "بوزيان مليكة" لتقديمها جزء من خبرتها في تكويني التطبيقي.

الإهداء

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدَ الصَّابِرِينَ وَجَزَاءَ الْمُجْتَهِدِينَ
إِعْتِرَافًا مِنِّي بِالْجَمِيلِ وَمَسِيرَةً كِفَاحِي خَمْسِ سِنِينَ
إِلَى أُمِّي مَنبَعِ الْحُبِّ وَالْحَنِينِ إِلَى أَبِي فَخْرًا وَيَقِينِ

إِلَى كُلِّ مَنْ عَلَّمَنِي وَشَارَكَ مَعِيَ تَقَاصِيلَ رِخْلَتِي
أُهْدِي هَذَا الْعَمَلَ إِلَى كُلِّ مَنْ آمَنُوا بِي
إِلَى عَائِلَةٍ بِشِيشٍ وَعَائِلَةٍ جَابُورِي
إِلَى كُلِّ الزُّمَلَاءِ وَالْأَحِبَاءِ إِخْلَاصًا حُبًّا وَوَفَاءً

إِلَى رُوحِ جَدَّتِي " بُولِينَتَانِ الطَّائِشِ " وَخَالِي "عَبْدُ الرَّزَّاقِ"
رَحِمَهُمَا اللَّهُ

مقدمه

حين امتلك الإنسان المعرفة تجاوز الحدود الطبيعية ليصبح صانعا لمصيره، لقد تمكن من السيطرة على نزوة الحياة والدخول في تفاصيلها ليتخطى الأمر أبعد ذلك نحو فضاءات غير مسبقة في تصور الحياة حيث تجردت الذات من مركزيتها الأخلاقية، لتغدو فاعلا "بيولوجيا" يعيد هندسة وبرمجة شروط الوجود مستعينا في ذلك بالتقنية كأفق للتمكين والبيولوجية كفضاء للتطبيق ومن هنا فتح باب أمام انتهاكات تمارس على الكائن الحي، تحت ذريعة العلم والتقدم حيث يعامل الجسد كتركيبة قابلة للفك وإعادة التشكيل والتصميم إذ لم يعد الكائن الحي في مأمن من العقل الأداتي، بل صار جزءا من معادلة إنتاج يقاس بفعاليته وقابليته للتطور فمع كل تدخل هناك ترحزح للمعنى الأخلاقي ومن رحم هذا التصدع وتشكلت البيوايقا كاستجابة لتصدع المعايير الأخلاقية وسط سطوة العلم.

كما أنها نمط تفكير جديد قائم على وعي فلسفي يعيد مسألة حدود الممكن وإعادة الاعتبار للإنسان كقيمة عليا لا تختزل في مجموعة من البيانات لهذا نجد أخلاق الحياة محاطة بتحديات ولعل أهمها هو الإنذفاع التقني والعجز عن توجيه امتدادات العلم ومحاولة ردعه فالعلم لا ينتظر والأبحاث لا تهدأ، وبهذا يشكل خطر على الهوية الفردية إذ يجب أن نحمي الكرامة الإنسانية قبل أن تبتلعها التقنية لهذا، تملي الضرورة أن تكون هناك يقظة فكرية وفلسفية بل وعلمية لأن ما نواجهه لا يقتصر على تحديات الحاضر يتجاوز الزمن الراهن نحو آفاق مستقبلية خاصة في ظل غياب الضبط والردع والتوجيه، يخشى أن يبالغ العلم في الانفلات مشكلا بهذا واقعا لا يمكن احتواءه لاحقا فالأمر لم يعد متعلق بما هو موجود بل بما هو آت الأمر الذي جعل من الفلاسفة، قضاة، محامين وعلماء أخلاق لا يلتزمون الحياد المعرفي بل يتحولون إلى فاعلين، منظرين ومؤسسين لخطابات نقدية تسائل حدود المشروع ولعلنا نجد من بين الذين ولجوا وخاضوا في عمق هذه المسألة برؤية نقدية "جاكولين روس" إذ شكلت كتاباتها حول الأخلاق المعاصرة محاولة جادة لاستعادة التوازن بين البعد الأخلاقي والتقدم العلمي إذ تنوه إلى ضرورة تأصيل مفهوم المسؤولية واستحضاره في الفعل الإنساني ولأنها ليست مجرد واجب شكلي إنما تستند إلى المؤسسات العلمية والهيئات التنظيمية.

كما تدعو إلى أخلاق نقدية تعيد التفكير فيها كقيم لا كقواعد جامدة في قوالب جاهزة بل كخيارات مفتوحة قابلة للفحص والنقد لهذا نحن بحاجة إلى منظومة أخلاقية تنبع من صلب العلم تستجيب لتحولاته، وتواكب تعقيداته لهذا فأهمية الموضوع تكمن في كونه يخرط ضمن الإشكاليات المعاصرة التي تمس صميم العلاقة بين الإنسان والعلم، تهدف هذه الدراسة إلى بيان الأثر النقدي لفكر جاكولين روس وتحليل الخلفيات

الابستمولوجية ومدى تقاطعها مع التصورات الوضعية والتقنية في مجال البيواتيقا المعاصرة، وبناء على ما سبق نطرح الإشكالية التالية:

كيف يمكن لفكر جاكين روس، المؤسس على المسؤولية الأخلاقية أن يوجه مسار البيواتيقا في سياق الهيمنة العلمية والسيطرة التكنولوجية الراهنة؟
وتتفرع هذه الإشكالية إلى عدة تساؤلات أهمها:

- ما مفهوم البيواتيقا؟
- ما هي أبرز المحطات التاريخية التي ساهمت في تشكل ونشأة البيواتيقا كمجال معرفي مستقل؟
- ما هي العقبات التي تواجه أخلاق الحياة في نظر جاكين روس؟
- كيف أسقطت جاكين روس قراءتها في التأصيل للبيواتيقا لتبحث في الكرامة وهوية الإنسان؟
- كيف تحلل جاكين روس القضايا المعاصرة في إطار البيواتيقا؟
- هل واجه فكر جاكين روس انتقادات صارمة أم امتد؟

وللإجابة على هذه الأسئلة في قالب منهجي منظم يأخذ التسلسل الزمني والتاريخي، لعرض الأفكار وتحليلها إعتدنا على خطة مكونة من مقدمة وثلاث فصول وخاتمة كانت كالتالي، تناولنا في المقدمة أولاً الإحاطة بالموضوع ثم التطرق إلى الأهمية وأهداف الدراسة ثم طرحنا الإشكالية بعدها تطرقنا لخطة البحث ثم منهج الدراسة أهم الدراسات السابقة والأسباب والدوافع، ثم أهم المصادر والمراجع وكذا أبرز الصعوبات. الفصل الأول الذي يحمل عنوان "ماهية البيواتيقا" قد قسمناها إلى ثلاث مباحث، أولاً المبحث الأول عنونته "بمفهوم البواتيقا" حيث قمنا بتعريف البيواتيقا من حيث الدلالة اللغوية والاصطلاحية، والأصل الاشتقاقي لهذه الكلمة كونها ذات أصل يوناني وتعني أخلاق الحياة.

أما المبحث الثاني كان بعنوان الخلفية التاريخية لظهور البيواتيقا تطرقنا فيه إلى مراحل ظهورها من الفلسفة اليونانية مروراً بالفلسفة الوسطى والإسلامية إلى العصر الحديث والمعاصر، كما تناولنا الثورة البيولوجية مراحل تشكلها وتطبيقاتها التي أسهمت بشكل مباشر في ظهور البيواتيقا ثم المبحث الثالث الذي جاء بعنوان "مبادئ البيواتيقا" إذ ذكرنا أهم المبادئ خاصة مبدأ المسؤولية التي ركزت عليه "جاكين روس". الفصل الثاني الذي يحمل عنوان "التنظير الفلسفي لأخلاق الحياة عند جاكين روس" الذي قسمناه بدوره إلى ثلاث مباحث، حيث تناولنا في المبحث الأول "جاكين روس حياته ومرجعياتها الفكرية" حيث عرفنا بالفيلسوفة مع ذكر أبرز مؤلفاتها وكذا الإطلاع على مرجعيتها، الفكرية التي أسهمت في تشكل فكرها.

بينما في المبحث الثاني معنون باسم "عقبات أخلاق الحياة" حيث تناولتها جاكليين روس من عدمية، علموية ووضعية.

أما في المبحث الثالث الذي يحمل عنوان "إعادة صياغة الكينونة البشرية" حيث تناولنا مواضيع خاصة بتحسين الجسد من ضمنها تحسين النسل، تغيير الدماغ والتحكم في الرسالة العصبية وكذا إطالة أمد الحياة والتحكم في الجهاز الوراثي.

أما الفصل الثالث معنون بـ "من الإتيقا النظرية إلى إتيقا الحياة" وقسمناه إلى مبحثين، المبحث الأول تحت عنوان إتيقا الحياة في العالم المعاصر تطرقنا فيه إلى بعض القضايا التي شغلت عالمنا اليوم التي تشمل البيئة، الإعلام الجماهيري، السياسة، التقنية إذ أن هذا الأخير خلف العديد من الأزمات المختلفة.

أما المبحث الثاني يحمل عنوان "قراءة نقدية لأطروحات جاكليين روس" حيث أشرنا إلى بعض الجوانب والشغرات التي ظهرت في طرحها.

وختمنا الدراسة بوضع النتائج التي توصلنا إليها وهي بمثابة إجابة التساؤلات والإشكالية التي وردت حول الموضوع، تليها بعد ذلك قائمة المصادر والمراجع التي تناولتها في إعداد الموضوع وأخيرا فهرس الموضوعات.

لقد اعتمدنا في معالجتنا لهذا الموضوع على:

- **المنهج التاريخي:** لتتبع التطور التاريخي لنشأة البيواتيقا وذلك في الفصل الأول وبالضبط في المبحث الثاني في "الخلفية التاريخية لظهور البيواتيقا" بالتحديد في عنصر "مراحل ظهورها".
 - **المنهج التحليلي:** لتحليل أفكارها، وتفكيك الرؤية الفلسفية التي قدمتها "جاكليين روس" من خلال تحليل البنى المعرفية يوجد في أغلب الفصول.
 - **المنهج النقدي:** من خلال كشف مواطن الضعف عند جاكليين روس يوجد المنهج في الفصل الثالث وبالتحديد في المبحث الثاني "قراءة نقدية لأطروحات جاكليين روس".
- أما فيما يخص الدراسات السابقة فنجدها من زاوية نقد الحداثة أو التحولات الأخلاقية في المجتمع لكنها لم ترتبط بالإشكاليات المعقدة للبيواتيقا وهذه الدراسة تسعى إلى تسليط الضوء عليها ونذكر منها:
- أطروحة الدكتوراه للباحث بوشافة محمد تحت عنوان: "أزمة الأخلاق والقيم في الفلسفة الغربية المعاصرة وتأثيرها على الواقع الراهن عند جاكليين روس"، جامعة معسكر.

أما الأسباب والدوافع وراء اختيارنا لهذا الموضوع:

1. الأسباب الذاتية:

- الاهتمام والإعجاب بفرع البيواتيقا إذ تضم العلم والحياة.
- اخترت البيواتيقا لأنها تدمج بين العمق النظري والتطبيقي العملي مما يجعلها حلقة وصل بين الفكرة والممارسة.

- الرغبة في دراسة الفكر الأخلاقي في العالم الغربي لدى جاكين روس.

2. الأسباب الموضوعية:

- قلة الدراسات عنها في العالم العربي الأمر الذي يدفعنا بالاهتمام بها وبأفكارها.
- لأن هذا الموضوع مطروح قبل جاكين روس غير أن هذا الأخير يطمح إلى إقامة أخلاق للحياة قائمة على مبادئ كونية.
- إن هذا الموضوع يسلط الضوء على الأبعاد الإنسانية وقضايا الهوية والاختلاف وكذا مسألة الحقوق والجوانب الطبية.

وبهذا عدنا خلال هذه الدراسة إلى مجموعة من المصادر والمراجع ومن أهمها:

- المصادر: أولاً كتاب "الفكر الأخلاقي المعاصر" كمصدر رئيسي كونه يحمل حمولة فلسفية حول المسائل الأخلاقية والقانونية بمختلف أبعادها، إضافة إلى كتاب "مغامرة الفكر الأوروبي" يتناول مسارات الفلسفة الغربية للوقوف على المحطات الكبرى بأسلوب نقدي تحليلي، كذلك كتابها "المناهج في الفلسفة".
- أما بخصوص أهم المراجع نجد كتاب الدكتور سعيد محمد الحقار "البيولوجيا ومصير الإنسان".

أما الصعوبات التي واجهتنا خلال إنجاز هذا البحث تتلخص فيما يلي:

- قلة المصادر والمراجع في العالم العربي التي تعالج موضوعي بالذات.
- عدم وجود دراسات كافية للفكر الأخلاقي لدى جاكين روس.
- لغة الفيلسوف بحيث أنها موسوعية وتتداخل أفكارها مع العديد من الفلاسفة، كذلك ضيق الوقت خاصة وأن الموضوع ملم وواسع يحتاج إلى البحث والتحليل أكثر.

الفصل الأول: ماهية البيواتيقا.

المبحث الأول: مفهوم البيواتيقا.

المبحث الثاني: الخلفية التاريخية لظهور البيواتيقا.

المبحث الثالث: مبادئ البيواتيقا.

تمهيد:

إن التحولات التي يشهدها عالمنا المعاصر قد ولدت مساحة من التوترات، إذ أصبح هناك قلق يتجاوز حدود الحاضر إلى ما هو قادم فليس ثمة أخطر من علم يمضي دون مسألة أخلاقية، تستدعي إعادة تقييم في زمن أصبح فيه الإنسان قادرا على تعديل شيفرة الحياة ذاتها ويصبح بذلك الجسد مختبرا لمختلف التجارب التي مست جوهر الكائن الحي وسط سطوة العلم، وانعدام المعنى الإنساني وغياب الضمير ظهرت البيوانيتقا كاستجابة فورية لتأطير القفزات العلمية وضرورة توجيه نتائج العلم الذي بلغ ذروته، متحديا كل الضوابط الأخلاقية خاصة مع التقدم التقني الذي جعل الأمر يخرج عن السيطرة حيث تسارعت، الابتكارات وبات الإنسان يصنع تقنيات تتجاوز قدرته على فهم عواقبها، لهذا فمهمة البيوانيتقا تكمن في إعادة الاعتبار للكرامة الإنسانية والسعي نحو خلق ملائمة بين الاكتشافات العلمية والمبادئ الأخلاقية وتحقيق التوافق المعرفي مع القيمي وهذا ما يضعنا تحت دائرة من التساؤلات منها:

- ما مفهوم البيوانيتقا؟
- ما هي مراحل ظهور البيوانيتقا وكيف انعكس ذلك على قيام الثورة البيولوجية؟
- ما هي أهم مبادئ البيوانيتقا التي ارتكزت عليها؟

المبحث الأول: مفهوم البيواتيقا:

أولاً: الدلالة اللغوية:

من الناحية اللغوية، فهي تأليف بين حدين بيو bio :وايتيقا Ethics بالإنجليزية و éthique بالفرنسية، واما القصد بالبيواتيقا التقاطعات القائمة بين مسائل البيولوجيا، والحياة الخالقية. " إذن البيواتيقا تعني أخلاق الحياة او أخلاق علوم الحياة¹.

كما أن كلمة البيواتيقا "Bio éthique" ذات أصل يوناني وتشير إلى علمين علم معياري "أخلاقي" وعلم خاص بالظواهر الحية يعرف ب "البيولوجيا Biologie" ويعرف هذا الأخير على أنه: "علم النبات وعلم الحيوان من حيث الموضوع وعلم التشكل (شكالة) وعلم الوظائف، (وظيفة) مع كل هذه متفرعاتها من حيث المسائل"²، أي أن هذا العلم ذو طابع شمولي في دراسته للكائنات الحية من حيث البنية الخارجية وكذا دراسته الحيوية الداخلية، وبالتالي التركيز على كيفية أداء الكائنات وظائفها.

إن أول من وضع هذا المصطلح "Biologie" لامارك "Lamarck" للدلالة على علم الموجودات الحية بوجه عام ومن حيث الموضوع علم النبات والحيوان المشكلات هو المورفولوجيا والفيسيولوجيا.³ إن علوم الحياة قد اتسع مفهومها ليشمل كل تفاصيل الكائنات الحية من أصغر جزء وهو الخلية، بجميع مكوناتها إلى الحمض النووي وحتى الصفات الوراثية والأنظمة الحيوية والكيميائية.

علم البيولوجيا علم واسع ومتداخل نتيجة لتطور المعرفة العلمية ويعتبر أكثر العلوم تفرعا وتشعبا، وتصنيفه إلى علوم وفروع مختلفة يسهل دراستها واستيعابها ويشمل علوما كثيرة نذكر منها ما يلي: علم الشكل الخارجي، التشريح، البيئة، الوراثة، الأجنة، الخلية، الأنسجة، الفيسيولوجيا، التطور، التصنيف وسلوك الحيوان⁴.

ويضم مبحث "البيواتيقا" علم الأخلاق إذ يولي اهتمام بمسائل العدالة والإنصاف وكذا القيم الإنسانية، ويندرج ضمن مبحث الإكسيولوجيا.

¹ بلمدني سعد، شريف الدين بن دويه : أخلاقيات الحياة (البيواتيقا) في الإسلام ،مجلة السائرة للدراسات الإنسانية و الاجتماعية ، المجلد7، العدد02، الجزائر ،2021، ص 519.

² أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت، باريس، مج 01، ط02، 2001، ص 136.

³ مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، ط5، 2007، ص 148.

⁴ عايش محمود زيتون، مدخل إلى بيولوجيا الإنسان، جمعية عمان المطابع التعاونية، الأردن، 1987. ص، ص 13-14.

والأخلاق لغة: مفردها خُلِقَ ويعني "العادة والسجية والطبع والمروءة والدين".¹

فالخلق هو ما اتصف به المرء من الطباع كانت مترسخة من أدبه ونشأته، أو أخذت من دينه ومعتقدده لتصبح ممارسة وتكلف.

كما جاء في قاموس المحيط "الخَلْق: التقدير، والخَالِقُ، في صفاته تعالى: "المبدع للشيء، المخترع".² اصطلاحاً: تعتبر الأخلاق جملة من القواعد الواجبانية التي تعطي طابع الالتزام، فكل فعل يحمل غاية أخلاقية نابعة من إرادته الحرة أو نتاج عادات أخلاقية اجتماعية ترسخت عبر الممارسات الجامعية كما أنها "علم السلوك وموضوعه الفضائل أو الرذائل وطبيعتها وظهورها وكيفية اقتنائها، ومن ثم كان قيام هذا العلم على تشكيل قواعد وكانت تقسيم البعض لها إلى أخلاق نظرية وعملية"³، أي أن علم الأخلاق يعني بدراسة السلوك الإنساني بشقيه من حيث المبادئ والمفاهيم المتعلقة بالفضائل كالرحمة والإحسان والصدق. والرذائل، وعلى شكيلتها (الكذب البخل... إلخ) وتوجيه السلوك، لهذا فهي تأخذ البعد النظري والعلمي.

كما ذهب الباحثون إلى عدة تعريفات اصطلاحية، يصب بعضها في الدين وأخرى في علم الاجتماع وأخرى في الفلسفة مما يبرز ثلاث معانٍ للأخلاق: فقد تعني الأخلاق: "طريقة أو أسلوب معين في الحياة وهو الأقرب للأخلاق الدينية، أو مجموعة معينة من قواعد السلوك وهذا الفرع من الفلسفة مهمته دراسة الفضائل والرذائل دراسة عقلية خالصة ولهذا يوصف أحياناً بأنه ((ميتا أخلاق)) وهو شرح وتفسير للأسس والموسوعات التي تقوم عليها"⁴.

يقول عثمان بن عمر الجاحظ في كتابه "تهذيب الأخلاق: "أن الأخلاق تحمل عند البعض سمة غريزية مطبوعة، فالسقاء قد نجده عند الكثير من الناس إلى أن بعضهم يتخذون من الاجتهاد وتدريب النفس الأداة المثلى وسنهم، منهم من يصير إليه بالرياضة ومنهم من يبقى على عادته ويجري على سيرته"⁵.

ومن خلال قول الجاحظ يتبين لنا أن الأخلاق جوهر متجزأ في الكيان الإنساني تظهر عند البعض كملكة فطرية مترسخة في صميم طبائعهم فالسقاء، على سبيل المثال صفة نجدها عند البعض ولكن ليس

¹ خالد بن جمعة بن عثمان الخراز، موسوعة الأخلاق، ج1، مكتب أهل الأثر، ط1، الكويت، 2009، ص 31.

² مجد الدين الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، ط1، 2008، ص 494.

³ عبد المنعم الحنفي: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 2000، ص 31.

⁴ نهلة الحمزاوي: فلسفة الأخلاق، وزارة الثقافة، عمان، ط1، 2021، ص-ص 18-19.

⁵ عثمان عمر الجاحظ، تهذيب الأخلاق، دار الصحابة للتراث، مصر، ط1، 1989، ص 12.

لدى الجميع لهذا فالأخلاق تستوجب عند الجاحظ، ترويض النفس وهي تكسب أيضا بالممارسة وهذا ما تنادي به البيواتيقا كونها تعطي أهمية للمبادئ الأخلاقية.

ونجد أن هذا الفرع قد تطور وتفرع إلى عدة مجالات أخرى نجد أخلاقيات المهنة، الأخلاقيات التطبيقية، أخلاقيات البيئة والأخلاقيات الطبية وغيرها إلى أن الفضل الأكبر في تطور هذا العلم في صورته المعاصرة يرجع إلى الفيلسوف "إيمانويل كانط"، الذي أحدث قطيعة مع النزاعات التجريبية والنفعية ليؤسس منظومة أخلاقية تتجذر في سلطة العقل الخالص نحو مبدأ كلي يتجلى في صيغة الأمر المطلق، استجابة للضمير الأخلاقي أو الإرادة الحرة.

يقول كانط "إن القيمة الأخلاقية للفعل لا تكمن في الأثر الذي ينتظر من ورائه، ولا في أي مبدأ من مبادئ الفعل يحتاج إلى استعارة الباحث عليه من هذا الأثر المنتظر"¹، أي أن القيمة الأخلاقية للفعل عند "كانط" لا تعتمد على النتيجة المتوقعة من وراء الفعل أو أي مبدأ خارجي، بل في الفعل ذاته إذا كان يتوافق مع الواجب الأخلاقي.

يضع كانط تقسيم للأوامر الأخلاقية شرطية وأوامر مطلقة وقد عبر كانط على هذه الأوامر بالصيغ التالية:

- ((افعل كما لو كان باستطاعة إرادتك أن تجعل قاعدة فعلك قانونا كليا للطبيعة)) أي يصبح العقل هنا بمثابة قاعدة كلية أخلاقية.
- ((افعل دائما بحيث تعامل الإنسانية في شخصك كما في أشخاص الآخرين كغاية لا كمجرد وسيلة فحسب))² هذا يعني أنه ينبغي لنا أن نتعامل مع كل شخص باحترام دون أن نجعله وسيلة لتحقيق غايات أو مصالح شخصية.
- ((افعل بحيث تكون إرادتك بوصفك كائنا عاقلا هي الإرادة التي تصنع تشريفا كلياً))³، أي أنه على كل كائن عاقلا أن يكون مصدر القوانين الأخلاقية التي هو ملزم بها وليس مجرد تابع لقوانين خارجية.

¹ إيمانويل كانط، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، تر: عبد الغفار مكاي، منشورات الجمل، ألمانيا، ط2، 2008، ص 52.

² إيمانويل كانط: مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة أن تصير علما أسس ميتافيزيقا الأخلاق، تر: نازلي إسماعيل، حسين ومحمد فتحي الشنيطي، مفهوم للنشر، الجزائر 1991، د. ص.

³ المرجع نفسه، د. ص.

في كتابه "أسس ميتافيزيقا الأخلاق يقدم" كانط محاولة لتوضيح أوجه الاختلاف بين المبادئ الأخلاقية وقوانين الطبيعة فذهب إلى أن الاختلاف بينهما يكمن في إحساسه الذاتي بالإلزام في طاعة القوانين الأخلاقية عكس القوانين الطبيعية التي لا تشعر حيالها بمثل هذا الالتزام¹.

ثانياً: الدلالة الاصطلاحية للبيوايتقا:

البيوايتقا هي مجال فلسفي وأخلاقي، ومبحث معاصر متعدد التخصصات إذ يركز في دراسته على القضايا الأخلاقية الناتجة عن التطورات المذهلة في الأبحاث البيولوجية والبيو طبية.

"ولقد وضع هذا المصطلح (Bioéthique) عالم أمريكي اسمه (vonhensselaen) متخصص في الأورام السرطانية وذلك في مقال نشره عام 1970، عنوانه "الأخلاق البيولوجية علم البقاء، حيث قال الرأي عندي أن الأخلاق البيولوجية تولد حكمة مرتبطة بكيفية استثمار المعرفة من أجل الخير الاجتماعي"².

ويتضح من خلال ذلك أن هذا المفهوم يفتح آفاقاً واسعة للتساؤل عن التجاوزات الغير أخلاقية التي تحدث داخل المخابر، في ظل التطور الرهيب والتقدم التقني، الذي من المفترض أن تسخر هذه التقنيات في خدمة الإنسان وليس ضده والتلاعب بجسده.

إن البيوايتقا هي سؤال فلسفي استعجالي متعلق بالتحكم في الحياة في يومنا الراهن بعد التطور السريع الذي حدث في مجال البيولوجيا والطب، فالوصول إلى الاستتساخ ومنع الحمل والتعديل الجيني أدى إلى طرح العديد من المشكلات ليست من طبيعة قانونية فحسب ولكنها أخلاقية وفلسفية³.

لهذا أصبحت ضرورة الاعتراف أن لهذا الكائن خصوصيته وقيمه الأخلاقية ووضع حدود الطموحات العلم التي فاقت اللامعقول.

"الأخلاق التطبيقية هي فرع من تحليل قضايا أخلاقية محددة ومثيرة للجدل مثل الاجهاض، حقوق الحيوان أو القتل الرحيم وفي السنوات الأخيرة تم تقسيم القضايا الأخلاقية في مجموعات أساسية مثل آداب مهنة الطب أخلاقيات العمل، الأخلاقيات البيئية وأخلاقيات جنسية"⁴.

¹ محمد مهران رشوان، تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، دار قباء، القاهرة، 1998، ص 155.

² مراد وهبة، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص 35.

³ محمد بوحجلة، البيوايتقا كفلسفة جديدة ومسألة الكرامة الإنسانية، المجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، م ج 12، ع 01، الجزائر، 2019، ص 53.

⁴ رحيمة محمد الشياح: مدخل إلى فلسفة الأخلاق التطبيقية، دار ومكتبة المهرج للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2020، ص 26..

كما تعرف جاكين روس البيويثيكا في كتابها "الفكر الأخلاقي المعاصر" على أنها "علم معياري يهتم بالسلوك الإنساني الذي يمكن قبوله في إطار القضايا المتعلقة بالحياة والموت ويشمل على دراسات تجمع بين تخصصات عديدة، تهتم جميعا بمجموعة الشروط التي يتطلبها التسيير المنظم للحياة الإنسانية في ظل التقدم السريع للطب والبيولوجيا".¹

من خلال تعريف "جاكين روس" يتضح أن البيويثيكا تضم علم الأخلاق فهي لا تكفي بوصف ما يحدث، بل تضع معايير تخص القضايا الإنسانية والأنطولوجية كمسألة الحياة والموت، وهل يمكن قبولها أخلاقيا؟ كما أن هذا العلم تتداخل فيه عدة مجالات نذكر منها الطب، الفلسفة، باعتباره تطرح تساؤلات نقدية، علم الاجتماع والقانون كأداة ضبط ردعية فكل هذه التخصصات تعمل معا في إطار إقامة الضوابط لتسيير التقدم العلمي السريع، خاصة في مجال الرعاية الصحية والعلوم الحيوية.

ترتبط "جاكين روس" الأخلاق التطبيقية" بمصطلح أساسي وهو "المسؤولية" إذ تقول "تدل الأخلاق الحياتية على المسؤولية تجاه الإنسانية القادمة والبعيدة الموكلة لحراستنا وعلى البحث عن أشكال الاحترام الواجب للشخص سواء كان هو الآخر أم المرء ذاته. بحث يجري على الأخص بالنظر في القطاع الحيوي، الطبي وتطبيقاته".²

تشدد "جاكين" على أنها تحمل التزاما أخلاقيا اتجاه الأجيال القادمة والبعيدة، حيث نتحمل المسؤولية وهذا يتطلب البحث عن أسرار الاحترام الواجب لكل شخص آخر حتى ولو كان مختلف عنا، إن هذا البحث الأخلاقي يكتسب أهمية خاصة في المجال الطبي وقطاعه الحيوي أي أن الأخلاق الحياتية ليست مجرد نظرية بل تتجسد عمليا في القرارات الطبية والأبحاث التكنولوجية وتطبيقاتها.

¹ جاكين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، تر: عادل عوا، عويدات للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، ط1، 2001، ص- ص 94-100.

² المصدر نفسه، ص 11.

المبحث الثاني: الخلفية التاريخية لظهور البيواتيقا:

أولاً: مراحل ظهور البيواتيقا:

إن هذا المبحث الجديد لم يكن ظهوره وليد الصدفة إنما كان نتاج عدة عوامل مختلفة من أبرزها نجد ما خلفته الحربين العالميتين الأولى والثانية، والتجاوزات التي مارست كل أشكال العنف والاستغلال الوحشي على الفئات الهشة (الضعفاء، الفقراء، المساجين) من أجل الاستثمار في الأجساد، إذ تمثل مادة خام لتجارب على جسم الإنسان ولكن نشأتها تضرب في أعماق التاريخ، من الحضارات القديمة إلى غاية عصرنا اليوم عبر المراحل التالية:

1. المرحلة اليونانية الجذور التاريخية لظهور البيواتيقا:

إن التراث اليوناني قد وضع العديد من المفاهيم بحمولتها الفكرية والأخلاقية والتي أسهمت في التطور الاستيمولوجي خاصة ما يتعلق بالجانب النظري والخبرة العلمية وكذا الجانب الطبي، حيث نجد "أبقراط" أول طبيب أرساء مبادئ أخلاقية لمزاولة مهنة الطب من خلال قسمة المشهور (قسم أبقراط) يقول القسم "أقسم بأبلو الطبيب ويأسكليوس، وبهجنيا وباناسيا وبجميع الآلهة.... أن أنفذ هذا القسم وأوفي بهذا العهد سوف استخدم العلاج لأساعد المرضى حسب قدرتي وحكمتي ولكن لا أستخدمه للأذى أو لفعل الشر ولن أسقي أحدهم السم إذا طلب إلي أن أفعل هذا أو أشير بسلوك هذا السبيل، كذلك لن أعطي امرأة وصفة لإسقاط جنينها ولكن سأحتفظ بحياتي وفني كليهما طاهرين مقدسين".¹

يقسم أبقراط هنا بالآلة اليونانية حيث يمثل آبلو إله الشفاء وبجميع الآلهة الأخرى وهذا دليل على أن الطب في هذه المرحلة ارتبط بالمعتقدات الدينية، إذ أن هذا القسم بنسبة لـ "أبقراط" تعهد والتزام لا يمكن نكثه كما أنه يؤكد أنه على الطبيب أن يستخدم معرفته بغرض الشفاء وتخفيف عن المرضى حسب حدود معرفته، وكأنه يشير لمبدأ التواضع في العلم وعدم التهور واستخدام هذه المهنة للعلاج وليس لغايات أخرى كالإنتقام أو القتل حتى ولو طلب ذلك وهذه إشارة إلى قضية معاصرة وهي الموت "الرحيم" كنوع من الانتحار بطلب من المريض، وهذا يعكس بعد أخلاقي والأمر ذاته في قضية "الإجهاض" فهذه المهنة مقدسة ولا ينبغي أن تستعمل لأغراض غير مشروعة مهما كانت الصلة بين المريض والطبيب صديقا كان أم عدو، لهذا وضع أبقراط هذه الأطر الأخلاقية الصارمة.

¹ مصطفى غالب، أبقراط سلسلة في سبيل موسوعة فلسفية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ط، 1987، ص-ص 50-

"لقد كان أبقرات من عظماء الرجال في العالم بشهادة ((أرسطو)) في كتابه السياسة "Politice"،
فبالرغم من قلة وسائل العلاج الفنية المتوفرة فقد أدخل أساليب البحث العلمي في الطب...فهو السابق إلى
إنشاء الأدب الطبي".¹

لقد تظن أبقرات لأهمية الآداب العلاجية اتجاه المرضى وخاصة وقد اعترف به الكثير من الفلاسفة
كونه مرجعا ونموذجا للحكمة على رأسهم "أرسطو" ففي انعدام الإمكانيات العلاجية المتطورة وتوفر الأدوات
البديئية تمكن من إحداث ثورة في الطب وذلك لأنه كان أكثر موضوعية في تشخيص الأمراض ولم يربطها
بالخرافات والأساطير ولم يجعل المرض عقابا من الآلهة، وهذا ما يحسب له إذ خالف كل من قبله إذ
استخدام في ذلك الملاحظة الدقيقة والاستعانة بالتجربة العلمية كما أنه كان من الأوائل الذين وضعوا
الواجبات الأخلاقية لطبيب تجاه المريض إذ يقول: "كن متحفظا في كلامك، مهتما بهندامك وثيابك صريحا
حاسما صادقا في أقوالك، موجز في حديثك، هادئا...ولا تنسى ما يجب أن تكون عليه أخلاقك وأنت بجانب
فراش المريض".²

يوصي "أبقرات" الطبيب أن يكون حريصا في انتقاء كلماته وحسن المظهر كما أنه يجب أن نتواضع
ونتعامل بإنسانية مع المريض لأنه في لحظة ضعف فهو ليس جسد فقط، فرفع المعنويات يمكن أن يكون
سبب في الشفاء. وهذا جزء من الأخلاقيات الطبية التي تعتبر مجال دراسة يخص البيواتيقا المعاصرة.
كما نجد في الفلسفة اليونانية اهتمام بالعلاقة التي تربط الإنسان بالطبيعة خاصة "الفلسفة الرواقية"
فالطبيعة هي منظومة من الظواهر تسير وفق قوانين محكمة والإنسان هو جزء منها، وهذا التصور يتقاطع
اليوم مع أحد أبرز القضايا البيو أخلاقية وهي أخلاقيات البيئة "والرواقية هي لفظ يطلق على المدرسة
الفلسفية الكبيرة التي أنشأها (زينون) الكيتومي بمدينة أثينا أوائل القرن الثالث قبل الميلاد، ويطلق على
أنصار تلك المدرسة اسم ((الرواقيين)) أو أصحاب الرواق أو (أهل المضال) نسبة إلى الرواق
المنقوش...وبذلك الرواق كانت تلقى المحاضرات الفلسفية وترجع نشأت المدرسة إلى أوائل العصر الموسوم
بالعصر الاسكندري".³

¹ فيصل دبوب، المشاهدات الطبية من أبو قراط إلى الرازي، مجلة المورد، مج 06، ع 4، العراق، 1997، ص 113.

² مصطفى غالب، أبقرات سلسلة في سبيل موسوعة فلسفية، مرجع سابق، ص 52.

³ عثمان أمين: الفلسفة الرواقية، مطبعة اللجنة للتأليف والنشر والترجمة، القاهرة، ط 1، 1945، ص-ص 5-6.

إن الرواقية مدرسة تأسست على يد زينون الرواقي وتطورت لاحقا كان لأفكارها الأثر الأكبر على الفلسفة الغربية كونها لها امتدادات معاصرة اهتمت بمواضيع محورية من بينها اللاغوس، الطبيعية والأخلاق "فالرواقية ليست مذهبا فلسفيا فحسب وإنما هي كذلك وقبل كل شيء أخلاق ودين".¹

أي أن الرواقية ليست مجرد تنظير أو تأمل فلسفي بل هي نمط حياة يقوم على معتقدات دينية وضوابط أخلاقية وعلى رأسها احترام الطبيعة والعيش وفقا لها.

لقد نظرت الرواقية للعالم على أنه جسد واحد، فهو ليس مجرد تجمع فوضوي للأشياء، بل ذو بنية متناسقة.

"إن العالم كله ليس إلا كائنا واحدا حيا متنفسا وما يحمل من جزء منه يؤثر في جميع أجزائه، وما يحدث في الكل يؤثر على كل جزء".²

أي من خلال ذلك فالكون عند الرواقي كائنا حي حيث تتفاعل أجزائه وفق نظام متكامل، بحيث أن أي خلل في جزء منه ينعكس على الكل وهذا ذو بعد بيوايتيقي، فالتدخلات البشرية على الطبيعة لا تمس فقط عناصرها بل تمتد تبعاتها إلى النظام البيئي مما يهدد التوازن الحيوي والصحة العامة، فالإضرار بجزء من العالم حسب الرواقية فهو إضرار بما في ذلك الإنسان نفسه.

2. البيواتيقا الوسيطية بين العقلانية الإسلامية والتداخل اللاهوتي في أوروبا:

2.1. المرحلة الإسلامية: التكامل بين الفلسفة والدين في الأخلاق الطبية

أن الحضارة الإسلامية ليست فقط مجرد سلسلة من الأحداث التاريخية تتجسد في الفتوحات بل هي منظومة فكرية متكاملة، نشأت من عدة مشارب متباينة وثقافات مختلفة حيث مزجت بين الحكمة العقلية والوحي الديني، وبالرغم من أن البيو أخلاق مبحث جديد وحديث النشأة إلا أن الحضارة الإسلامية كانت سابقة في طرح العديد من المسائل، حيث كانت العلوم تتماشى مع القيم الدينية التي تحتل على حفظ الكرامة الإنسانية واحترام الحياة.

"إن الحضارة الإسلامية هي ما قدمه الإسلام للمجتمع البشري من قيم ومبادئ وقواعد ترفع من شأنه، وتمكنه من التقدم في الجانب المادي وتسير الحياة للإنسان".³

¹ عثمان أمين: الفلسفة الرواقية، مرجع سابق، ص 6.

² المرجع نفسه، ص 137.

³ بن يكن عبد المجيد، الحضارة العربية الإسلامية وتفاعلها مع الحضارة الإنسانية، مجلة التراث، مج01، ع 31، خنشة، 2019، ص 62.

أي أن الحضارة الإسلامية تحمل من المبادئ والقواعد ما يمكنه من أن تحقق من خلالها التقدم العلمي ومنتخذا من دين الإسلام المرجع الأساسي لها فهو لا يعرقل الأبحاث بل يحث على الفعل، والإنتاج مما ينعكس على الجانب الاقتصادي والاجتماعي ويساهم في التطور، وهذه الحضارة أنتجت الكثير من الإرث المعرفي في علوم شتى من بينها علم الفلك، الكيمياء، وحتى الطب.

كما نجد من بين العلماء والفقهاء الذين نظروا للأخلاقيات الطبية "ابن سينا" من خلال مؤلفه "القانون في الطب" وكذلك "أبو بكر الرازي" وهذا الأخير قد "فرض شخصه في المكتبة العربية والإسلامية والفكرية والفلسفية من خلال مصنفااته وهي ذاتها فتحة المجال واسعا أمام الباحثين والمهتمين في إنتاج الأبحاث والدراسات".¹

لقد وضع الإمام "أبو بكر الرازي" العديد من المؤلفات ولعل أهمها هو "أخلاق الطبيب" على شكل توصيات والتزامات على الطبيب للأخذ بها أثناء عمله، مرشدا للأطباء بعمل بضمير وإخلاص ليصبح الطبيب راعيا ومسؤولا عن الأرواح قبل أن يكون معالجا للأبدان ومن بين التوصيات التي وضعها نذكر منها:

- الرفق وحفظ السر في الطب: "واعلم يا إبني أنه على الطبيب أن يكون رفيقا بالناس، حافظا لغيبيهم، كتوما لأسرارهم".²
- الالتزام بالحياء والخوف من الله: "على الطبيب ان يكون مخلصا لله وأن يغض طرفه عن النسوة ذوات الحسن والجمال ويتجنب لمس أبدانهن".
- وجوب العلاج دون تمييز: "وينبغي على الطبيب أن يعالج الفقراء كما يعالج الأغنياء".³
- تواضع الطبيب: "وأعلم أن التواضع في هذه الصناعة زينة وجمال".⁴

¹ نعيمة عبد الغفار، بيت الإمام الرازي (ت 606هـ) والعلامة الألويسي (ت 1270هـ) درسا في مناهج الفكر والتأليف، مجلة العلوم الإسلامية والاجتماعية، مج 27، ع2، 2018، ص 217.

² عبد اللطيف محمد أحمد: أخلاق الطبيب رسالة لأبي بكر الرازي إلى بعض تلاميذه، مكتبة دار التراث، ط1، القاهرة، 1977، ص 27.

³ المرجع نفسه، ص-ص 29-37.

⁴ المرجع نفسه، ص 84.

إن ما ذكره أبو بكر الرازي في توصياته حول معاملة الطبيب للمرضى تدخل في إطار الأخلاقيات الطبية حيث تتشابه مفاهيم الرحمة والمساواة مع الأبعاد الإنسانية، في الرعاية الصحية إذ أكد على الجانب الأخلاقي في الممارسات الطبية.

يعتبر كتاب "القولنج" للرازي من البراهين القوية على إرسائه لقواعد التشخيص السريري، فقد جاء فيه بقواعد ما زال معمولاً بها حتى الآن في المجال الطبي وهي تتمثل في أهمية ودقة استجواب المريض، فينبغي للطبيب أن لا يدعم مسألة للمريض عن كل ما يمكن أن تتولد عنه علة من داخل ومن خارج¹.

ومنه فإن كتابه شكل تطور في تشخيص الأمراض السريرية حيث وضع الأسس المنهجية والأخلاقية التي ما تزال تعتمد في الطب الحديث كما أن عملية مسألة المريض تقتضي بتقديم المعلومات الصحيحة دون ضغط، وعلى الطبيب تجنب الأساليب التي قد تؤدي إلى انتهاك خصوصية المريض أو التسبب في معاناته الخارجية أو حتى معاناته النفسية.

2.2. العصور الأوروبية سيطرة الكنيسة وتقييد البحث العلمي: في هذه الفترة لم يكن العلم كياناً مستقلاً، بل كان أسير منظومة فكرية تهيمن عليها تعاليم الكنيسة، إذ تأثرت الأخلاقيات الطبية بالمعتقدات الدينية، تحت ذريعة وحي عدم التدخل في "إدارة الخالق" إذ انتشرت فكرة أن المرض "عقوبة من الرب" مما أعاق التقدم في المجال الطبي وكانت هناك رقابة صارمة، خاصة في الجراحة إذ كان علم التشريح مثلاً محظوراً، لأن فيه عبث بهيئة البشر فالجسد مقدس وهذا الأخير أصبح من أكثر المواضيع تداولاً في "البيواتيقا" وقد تعدى الأمر مجرد السؤال حول "جواز أو تحريم" إلى مطالب أكثر تعقيداً كالحق في الموت والتصرف في الجسد.

"أسوأ ما كان في العصور الوسطى هو تضيق الخناق على حرية الاجتهاد فقد كانت محاكم التفتيش تقوم باضطهاد كل من يخالف آراء الكنيسة ووصف أفكار هؤلاء المخالفين بالهرطقة... فقد كانت الجامعات والتعليم تحت إشرافها حيث كانت تقدم دروساً ممزوجة بالتعاليم المسيحية فكان الطلبة يدرسون اللاهوت وكانت العلوم العقلية هي جل ما يقدم"².

¹ خالد حربي: سر صناعة الطب لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي، دار الثقافة العلمية الاسكندرية، مصر، ط1، 2000، ص 15.

² تودسي محمد، إبداع المنهج التجريبي في الحضارة الإسلامية وانتقاله إلى أوروبا في العصور الوسطى، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، مج 6، ع01، الأغواط، 2021، ص 389.

لقد أنشأت المسيحية محاكم تقتش تلاحق المتورطين في التشكيك في تعاليمها وكذلك العلماء الذين تجرؤوا على معارضتها مثل غاليلي إذ سيطرت على المنظومة التعليمية وزرعت الفكر المسيحي واللاهوت في الجامعات، إذ تتلخص علومهم في العلوم النظرية أما التجريبية فقد كانت تمثل خطر في ظل الاعتماد الكامل على المنطق الأرسطي.

وهذا ما جعل الكنيسة تضع قواعد في التدريس بالجامعات نذكر منها:

- كل ما جاء في الكتاب المقدس وأقوال رجال الكنيسة فهو حق.
- كل مما قال به أرسطو مما لا يناقض فهو حق.
- كل مما أفضى إليه العلم لا يتناقض هذا وذلك فهو الحق¹.

لقد اتخذت الكنيسة مجموعة من القوانين وذلك لتمرير افكارها في عقول الطلبة من خلال المؤسسات التعليمية.

لطالما كان هناك جدل حول العلاقة بين المرض والأفعال الإنسانية في العديد من التقاليد الدينية فبينما يرى البعض أن المرض مجرد حالة بيولوجية بحة، يعتقد آخرون أنه انعكاس لحالة روحية أخلاقية معينة.²

إذ يوضح الطبيب بول تورنييه في كتابه "يوميات الطبيب على ضوء الكتاب المقدس" هذه العلاقة بقوله: "أن بعض المسيحيين من طوائف مختلفة، يعتقدون أن هناك علاقة سببية ما بين خطيئة الإنسان ومرضه وقد تحدثت ذات مرة عن أخت راهبة أعطت أحد المرضى أحد كتبي وقالت له إقرأ وسوف تدرك أنك خاطئ، ذلك لأنك مريض...وقد سمعت مؤخرا عن رجل مسيحي متميز كرس كل قدراته لموضوع الشفاء بالصلاة ويدعي أن الاعتلال الجسدي له دليل على اعتلال أخلاقي".³

لقد كان الفكر الطبي متأثراً بشكل كبير بالمعتقدات الدينية، لم يكن المرض في هذه الفترة يفسر بناء على أسباب علمية بقدر ما كان ينظر إليه كعقاب إلهي، أو اختبار روحي، وهذا التصور أدى إلى تأخر

¹ تودسي محمد، إبداع المنهج التجريبي في الحضارة الإسلامية وانتقاله إلى أوروبا في العصور الوسطى، مرجع سابق، ص 390.

² المرجع نفسه، ص 390.

³ بول تورنييه: يوميات طبيب في ضوء الكتاب المقدس، تر: ماهر نكلس نسيم، مكتبة دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2014، ص 302.

الأبحاث الطبية وكان التركيز على تفسير وإرجاع المرض إلى إطار أخلاقي بين الخير والشر، بحيث كان يجدر أن ينصب البحث عن كيفية تطوير العلاجات والأدوية، ومعرفة الأسباب الحقيقية لمسببات المرض.

3. من العصر الحديث إلى الثورة العلمية: مسار البيو أخلاقيات بين التطور المعرفي والتحديات المعاصرة:

يمثل عصر النهضة والتنوير تحولاً ابستمولوجياً في بنية المعرفة بحيث انتقل الفكر الإنساني من براديغم معرفي ميتافيزيقي، قائم على سلطة الكنيسة إلى براديغم تجريبي يمثل إعادة هيكلة لمفهوم الحقيقة والأسس المعرفية، خاصة مع وضع "فرانسيس بيكون" للمنهج الاستقرائي إذ أصبح الإنسان من خلاله سيداً على الطبيعة، لكن سرعان ما تغير الوضع خاصة مع ما أفرزته الحداثة إذ أصبح الإنسان سيداً على الإنسان، مما فتح تجاوزات لأخلاقية استغلالية.

"بنيت فكرة الفكر العلمي والطريقة العلمية في الواقع في نهاية عصر النهضة كما يشير إليها مؤلف "المنطق الجديد La nouvelle logique" وظهرت عقلية جديدة... كما بنيت فكرة الطريقة الاختبارية في عصر النهضة على يد "باكون" الذي لا يظهر كرجل من الماضي فقط إذ تكلم البعض عن تمتعات علمية أولى في تلك الحقبة".¹

يعد "باكون" أول من نظر للمنهج العلمي ووضع الخطوات العلمية الأولى، له القائمة على الملاحظة، الفرضية والتجربة.

لقد مكنت الثورة العلمية في القرن 17 والتي كانت وظيفتها كما قال "فرانسيس بيكون" أحد أعمدها: "ضرورة السيطرة على الطبيعة وإجبارها على البوح بأسرارها لا من أجل مجد الرب بل من أجل التحكم في العالم والثورة وها نحن في زمن الذي دمرت فيه حقوق الإنسان الغابة البكر، ولوث فيه البترول صفحة البحار بحجة احتياجات الإنسان".²

أن ما أفرزه المنهج التجريبي من تطورات تقنية قد نتج عنه العديد من القضايا الأخلاقية وطرح مسألة الموازنة بين التقدم العلمي والتجريبي مع مراعاة واحترام خصوصية الكائنات، خاصة بعد تغيرات جذرية التي مست البيئة والكائن الحي وحول كيفية التصرف في الأرض بما يتماشى مع المبدأ الأخلاقي للتعايش المستدام والحفاظ على التنوع البيولوجي.

¹ جاكين روس، مغامرة الفكر الأوروبي قصة الأفكار الغربية، تر: أمل ديبلي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات، ط1، 2011، ص-ص 128-129.

² سيد حسن نصر: الإنسان والطبيعة، تر: عمر نور العين، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019، ص 8.

لقد فتح المنهج العلمي الطريق للأبحاث البيولوجية إذ كانت هناك عوائق وصعوبات في التجريب على الكائنات الحية، فهي تختلف عن المادة الجامدة ولكن مع بداية القرنين السابع عشر والثامن عشر يمكن هذا المنهج العلماء من استخدام التجارب والملاحظات الدقيقة، لفهم العمليات الحيوية المعقدة وبهذا تم تجاوز كل العوائق، وأصبح بالإمكان التعامل مع الكائنات الحية وفحص أعضائها وتركيباتها الكيميائية.

وفي هذا السياق شهدت العلوم البيولوجية نقلة نوعية بفضل جهود علماء مثل (كلود برنارد، تشارلز داروين، ولويس باستير) وهذه النقلة أسهمت بشكل مباشر بظهور البيواتيقا كفرع علمي يتعامل مع القضايا الأخلاقية الناشئة عن التجارب على الكائنات الحية.

لقد قدم تشارلز داروين في كتابه "أصل الأنواع" نظريته في تطور الكائنات الحية وفكرة البقاء للأصلح، إذ يقول "التنازع من أجل البقاء نتيجة حتمية للمعدل العالي للزيادة الذي تميل إليه جميع الكائنات العضوية، فكل كائن ينتج أثناء مدة حياته الطبيعية العديد من البيض أو البذور لآبد من أن يعاني من الهلاك أثناء فترة حياته".¹

يوضح "داروين" أن هناك تنازع للبقاء يفعل الميل الفطري للزيادة ولإعمار إلا أن هذه الكائنات الحية عليها التنافس من أجل البقاء والتكاثر وهو ما يعرف عنده "بالانتقاء الطبيعي" كما أن تأثير العوامل المناخية ينعكس على الكائنات إذ يقول: "المناخ يلعب دورا مهما في تحديد متوسط العدد الخاص بنوع ما، والفصول التي تتعاقب دوريا من البرودة الشديدة يبدو أنها صاحبة التأثير الأكبر من بين الضوابط...وبما أن المناخ يؤثر بشكل رئيسي على نقصان الغذاء فإن هذا يجلب أكثر الصراعات شراسة بين الأفراد".²

ومن خلال ذلك فإن المناخ عامل رئيسي في تحديد مدى قدرة الكائنات على المقاومة والبقاء وكذا التكيف مع الظروف البيئية القاسية إذ يكون البقاء للأصلح، لقد ساهمت نظرية داروين التطويرية في معرفة بنية الكائنات الحية وقدرتها على الصمود والتغيرات البيولوجية والوراثية التي تنتقل عبر الأجيال، مما عزز التجارب والتعديلات الجينية على النباتات والكائنات الحية لتتنقل هذه الفكرة إلى "الإنسان" والعبث بالخارطة الوراثية الخاصة به.

لقد شهدت الحضارة الغربية تطورا علميا هائلا في مختلف المجالات خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، خاصة بعد الثورة الصناعية والتي مست كل النواحي في ميدان السلاح وتطور الترسانة العسكرية والآلات الصناعية التي ساهمت بشكل مباشر في تسريع الإنتاج، لكنها افتقرت إلى المواد الخام لتغذية هذه

¹ تشارلز داروين: أصل الأنواع، تر: مجدي محمد المليجي، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 2004، ص 139.

² المرجع نفسه، ص 145.

الآلات الضخمة والمصانع الكبرى، لهذا وجهت أنظارها إلى دول إفريقيا وآسيا عبر حركات استعمارية بذريعة نشر الحضارة والعلم في الدول المتخلفة إذ مارست كل الاستغلال الوحشي لهذه الشعوب.

لقد حاول الإنسان تفكيك عناصره المادية لاستخدامها على أكمل وجه أول ما تحققت بشكل جزئي وتدرجي في التجربة الاستعمارية الغربية بشقيها الاستيطاني والإمبريالي، فقد خرجت جيوش الدول الغربية الإمبريالية تحمل أسلحة الدمار والفتك والإبادة، فاعتبرت شعوب آسيا وإفريقيا مجرد مادة بشرية توظف في خدمته، كما اعتبر العالم مجرد مادة طبيعية توظف في خدمة دول أوروبا وشعوبها المتقدمة.¹

لقد نظرت أوروبا إلى الدول الإفريقية على أنها عبيد لهم إذ أنها لم تتمكن من تحقيق ما وصلت إليه أوروبا لهذا اباحت كل الممارسات الغير أخلاقية خاصة ما حدث في ألمانيا "إذا ضرب المرء ذات مرة صفحا عن الفضاعة الأخلاقية لتصريح غرملتسا، الذي من الظاهر للعيان أن يقدر أعداد ضحايا النازية من غير اليهود بأنها أقل من ضحايا اليهود، فقد غاب عن ذهنه كما يبدو، أنه كان يوجد منذ أيار عام (1944م) لائحة بأسماء المعتقلين ذوي العقيدة الإسلامية في معسكرات الاعتقال الألمانية...تهدف إلى حملهم على التطوع لصالح وحدات حمل السلاح".²

لقد قام الإنسان الغربي بعمليات تهجير ونقل الشعوب الضعيفة والاستفادة منها من خلال:

- نقل سكان إفريقيا إلى الأمريكيتين لتحويلهم إلى مادة استعمارية رخيصة.
- نقل كل جيوش أوروبا إلى كل أنحاء العالم للهيمنة عليها وتحويلها إلى مادة بشرية وطبيعة توظف لصالح الغرب.
- نقل كثير من العناصر المقاتلة من آسيا وإفريقيا وتحويلهم إلى جنود مرتزقة في الجيوش الغربية مثل الهنود وفي الحرب العالمية الأولى، تم تهجير 132 ألفا من مختلف أقطار المغرب لسد الفراغ الناجم عن تجنيد الفرنسيين.³

لقد مارس الغرب كل الطرق من أجل السيطرة والهيمنة الاستعمارية في سبيل تحقيق مطامعه فنتج استغلال الأجساد خاصة من البلدان المستعمرة، وكذلك المساجين وخاصة ما مارسه الجيش الألماني.

¹ عبد الوهاب الميسري: الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ، دار الشروق، ط1، 1997، ص-ص 36-37.

² غرهدهب: العرب في المحرقة ضحايا منسيون؟، تر: محمد جديد، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2006، ص 18.

³ عبد الوهاب الميسري: الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ، مرجع سابق، ص 37.

"لقد كان النازيون يدركون أن نظامهم النازي وممارسة الإبادة إنما هي ثمرة التشكيل الحضاري الغربي الحديث، وقد بين "ألفريد روزنبرج" أثناء محاكمته في نومبرج هذه العلاقة العضوية بين العنصرية النازية فأشار إلى أنه تعرف لأول مرة على "مصطلح الإنسان الأعلى" السبرمان في كتاب عن الاستعماري الإنجليزي "كتشيز" وأن مصطلح ((الجنس المتفوق)) مأخوذ من كتابات الأمريكي ماديسون جرانت والعالم الفرنسي "لابوج" كما أكد روزنبرج لمحاكميه، أن النازية هي جزء من الحضارة الغربية".¹

نظرا لما أفرزته التقنيات والتجاوزات في مجال البيوتيقا خاصة في الحروب تم وضع قوانين وبنود بحيث:

"لقد تم وضع مدونة "تورمبورغ" (1947) بعد تجاوزت الأخلاقية وجرائم النازية، وكذا "إعلان هلنسكي 1964" ويوصي بتأليف لجان مراقبة "طريقة الحصول على الموافقة وصفه المعلومات المقدمة للمرضى المشاركين في التجارب" ولنذكر أخيرا أن إعلان "مانيل 1981" يقترح إحداث لجان تقدير أخلاقي نظري، وقد أحدثت هذه اللجان في الواقع منذ 1960 في الولايات المتحدة ثم بريطانيا وفي السويد، لقد صار تفتح الأخلاق الحياتية دوليا أمرا راهنا".²

ثانيا: الثورة البيولوجية:

بعد التطور العلمي المذهل التي أفرزته الحداثة وما بعد الحداثة أصبح الإنسان هو المتحكم والمعدل لجينات والمورثات، ولم تعد الحياة خاضعة لقوانين الوراثة أو الطبيعة، بل لما تفرضه الأبحاث وتضعه المختبرات من تقنيات جديدة وهذا ما أدى إلى إعادة تشكيل نظرتنا لهذا العالم خاصة بعد الثورة البيولوجية. 1. مراحل قيام الثورة البيولوجية: لقد مرت الثورة البيولوجية "Revolution liologique" بأربعة مراحل وهي:

- أ. مرحلة علم الحياة الجزئية: اختصت بدراسة الجزئيات والتفاعل معها، حيث تم الانتقال الجزئي إلى التراكيب الصغيرة للخلية واكتشاف الجينات gènes مما أتاح إمكانية ترجمتها.
- ب. مرحلة علم الحياة الخلوية: تقوم على دراسة العلاقة داخل الخلايا وكذا تشكّلها والاتصالات بينها بواسطة المستقبلات وبالتالي فإن البيولوجيا الخلوية تعطي معلومات حول نقل الجزئيات واستقبالها.
- ج. مرحلة الغدد الصماء العصبية: هنا تطور الاتصال إلى الأعضاء بعضها مع بعض وأصبح هناك تنظيم متكامل للإشارات بين الخلايا.

¹ عبد الوهاب المسيري: الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ، مرجع سابق، ص 40.

² جاكليين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، مصدر سابق، ص 116.

د. مرحلة الهندسة الوراثية والجينوم البشري: وهي متعلقة بتكنولوجيا الحمض النووي المنقوص الأوكسجين، وهذه الأخيرة تتيح لنا إعادة برمجة التفاعلات الجزيئية والخلوية وبالتالي التأثير على الأنواع الحية.¹

2. تطبيقات الثورة البيولوجية:

أ. الهندسة الوراثية: "يمكن أن توصف الهندسة الوراثية بأنها التعديل والتحسين التقني للكائنات الحية أو بأنها تطبيق المبادئ العملية والهندسية على صناعة المواد بوسائط حيوية، مثل الكائنات الحية الدقيقة أو الخلايا والإنزيمات لتوفير السلع والخدمات وتصنع الأغذية والمستحضرات الطبية".² أي أن الهندسة الوراثية هي حقل بيولوجي يقوم على إعادة تشكيل بنية الكائنات الحية، كما أنها تدخل في صناعة بعض المواد العضوية والمعدنية التي تستخدم في المجالات الطبية والغذائية. "يعتبر الراهب جريجور مندل [Gregor Mendel] 1822-1886 أول من وضع القواعد الأساسية لتوريث الجينات، حيث نهج الأسلوب العلمي على التهجينات في نبات بازلاء الأكل، حيث نشر نتائج تجاربه وأبحاثه في عام 1866".³

إن الهندسة الوراثية لم تحدث هكذا، بل كانت نتاج لعدة عوامل وثورات علمية، لهذا "لقد جاءت الهندسة الوراثية نتاج لثورتين علميتين هما: ثورة اكتشاف أسرار المادة الوراثية "DNA" وثورة اكتشاف إنزيمات القطع، حيث تم اكتشاف أسرار الشفرة الوراثية وفك رموزها وفي عام 1922 أعد "مورجان" أول خريطة للجينات الموجودة على كروموسومات حشرة الفاكهة (Drosophila)".⁴

لقد نشأت الهندسة الوراثية نتيجة اكتشاف الحمض النووي واكتشاف الخريطة الوراثية للكائنات الحية، بالإحاطة بطابعها النووي وهذا الأخير مكان العلماء من معرفة عدد الصبغيات، ومعرفة العضو المسؤول عن نقل المورثات وهي نواة الخلية وكانت أول التجارب على النباتات ثم بواسطة الأبحاث والتجارب تطور الأمر ليصل لبنية الكائن الحي.

¹ سعيد محمد الحفار: البيولوجيا ومصير الإنسان، عالم المعرفة، الكويت ط1، 1984، ص-ص 25-26.

² وجدي عبد الفتاح سواحل: الهندسة الوراثية الأساليب والتطبيقات في مجال الجريمة، جامعة تاليف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والأبحاث، الرياض، د.ط، 2006م، ص ص، 21-22.

³ محمد عبد الباعث الصبيحي، أساسيات علوم الوراثة، كلية الزراعة، جامعة الاسكندرية، د.ط، 2012، ص4.

⁴ المرجع نفسه، ص ص، 25-26.

"منذ عام 1953. توصل "جايمس واتس كريك" إلى تركيبة DNA وبعد 50 عام في أبريل 2003 نجح العلماء العاملون على مشروع الجينوم البشري واكتشفوا تسلسل الأحرف A و C، G و T التي تؤلف الرسالة المرمزة للجينات ونستطيع تحديد ما إذا كنا نعاني من أمراض معينة وفق معطيات".¹

بفضل مجهودات العلماء في مشروع الجينوم البشري الذي كان بمثابة قفزة نوعية خاصة وأنه فتح آفاق علمية واسعة فيما يخص تشخيص الأمراض ومعالجتها مثلاً كذلك تشخيص العلاجات حسب التركيبة الجينية والقضاء على العاهات المحتملة، خاصة الوراثة وكذلك القدرة على تغيير الشكل وكذلك لون العينين والشعر وحتى البشرة الأمر الذي فتح نقاشات أخلاقية عالمية

ب. **الاستنساخ:** الاستنساخ هو عملية توالد غير جنسي، تتم بأخذ خلية من خلايا جسم الإنسان تحتوي على كافة المعلومات الوراثية، ثم تنزع في بويضة الأنثى بعد تفرغها من كامل مورثاتها ويتشكل الجنين على نحو مطابق، لهذا سميت العملية بالاستنساخ لأن الجنس يكون مطابق، ونسخة للخلية".²

إن عملية الاستنساخ في بداياتها لم تشمل الإنسان بل بدأت بالنباتات ثم انتقلت إلى الحيوانات لتصل تدريجياً إلى الإنسان بحيث: "كانت أوائل عمليات الاستنساخ على النعجة "دولي" بواسطة تقنية اسمها النقل النووي، أخذ العلماء خلايا من ثدي نعجة أنثى عمرها 6 وكانت من سلالة Finn Dorset كما أخذت بويضات، تنتمي لسلالة Scottish Black face استأصلوا منها النواة وحقن البويضة الفارغة إلى نواة خلية Finn Dorset ومن ثم ولدت نعجة دولي مطابقة وراثياً للنعجة Finn Dorset الأصلية".³

بعد اكتشاف أن النواة هي المسؤولة عن نقل الصفات الوراثية، قام العلماء بالتجارب على الحيوانات، حيث تم اختبار نعجتين من سلالات مختلفة ثم تم وضع نواة في خلية مستأصلة النواة فكانت النتيجة ولادة نعجة مستنسخة، تحمل صفات ومورثات التي حملتها النواة في البويضة الفارغة.

ج. **التلقيح الاصطناعي:** "هو إجراء عملية التلقيح بين حيوان الرجل المنوي وبويضة المرأة من غير الطريقة المعهودة وهو أنواع: تلقيح صناعي داخلي، ويتم بإدخال مني الزوج إلى داخل رحم المرأة بواسطة وسائل طبية معينة، أما التلقيح الصناعي الخارجي يتم بجمع الحيوان المنوي مع البويضة خارج الرحم ويتم التلقيح الصناعي على النباتات والحيوانات والإنسان".⁴

¹ ريتشارد ووكر: الجينات والـ DNA، تر: منتدى اقرأ الثقافي، الدار العربية للعلوم، لبنان، ط1 2006، ص 34.

² جعفر حسنة عتريسي، الاستنساخ جدل العصر، دار الهادي للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 2002، ص 12.

³ ريتشارد ووكر، الجينات والـ DNA، مرجع سابق، ص 48.

⁴ زياد أحمد سلامة: أطفال الأنابيب بين العلم والشريعة، الدار العربية للعلوم، لبنان، ط 1، 1996، ص 53.

إن بدايات الإخصاب الصناعي كانت تجارب إستكشافية ومع نجاحاتها حضت بشهرة كبيرة وإقبال من العلماء، بحيث: "إن أول عملية إخصاب صناعي كانت في عام 1884 على رجل لا يستطيع الإنجاب فحينها قرر الطبيب حقن الزوجة بسائل منوي لزوجها وبعد أشهر ظهر الحمل وقد تطور استخدام هذه الطريقة في الإنجاب لعدة أسباب منها إصابة أحد الزوجين بالعقم أو ضعف يمنع اتمام الحمل أو خوفاً من انتقال مرض وراثي وهذا الأخير يستعان في ذلك بمتطوع، أو امرأة تحمل بدلا من الزوجة يطلق عليها الأم البديلة"¹.

إن ما وصل إليه الطب في مجال البيولوجيا وتركيبه الكائن الحي وتطور الوسائل البيو طبية، عالج الكثير من الأمراض الصعبة ونذكر منها العقم إذ يعد التكاثر، عملية حيوية تضمن استمرار النوع البشري لهذا جاءت الضرورة العلمية البحث في هذا المجال وكان التلقيح الاصطناعي بمثابة خطوة نوعية لتحقيق حلم الإنجاب بنوعيه الداخلي والخارجي ولم يعد الأمر مختصر على الأم والأب في تحقيق ذلك، فقد ظهرت ما يعرف بالأم البديلة واستئجار الأرحام.

¹ ناهدة البقصي: الهندسة الوراثية والأخلاق، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1993، ص ص، 76-77.

المبحث الثالث: مبادئ البيوانيتقا:

لقد تبنت البيوانيتقا مجموعة من المبادئ نظرا للتجاوزات الغير أخلاقية والغير المبررة ونذكر منها:

أولا: مبدأ الكرامة الإنسانية:

الكرامة في اللغة الإنجليزية Dignity وهي تأتي إلينا من خلال الأحرف اللاتينية Dignitas و Dignus من العصور القديمة اليونانية والرومانية والتي تعني في آدابها شيئا مثل "الجدارة بالشرف والاحترام" وهذا المفهوم الكلاسيكي للكرامة هو شيء نادر واستثنائي¹.

تعتبر كرامة الإنسان من المبادئ التي يمنع المساس بها، لهذا صنفنا قوانين تمنع أي ممارسة غير قانونية تمس بكرامة الإنسان لهذا ف: " إن من الشواهد القانونية لحفظ الكرامة الإنسانية ما أقرته اتفاقيات جينين الأربعة لعام 1949، حيث نصت المادة السابعة من الاتفاقية الأولى " أنه لا يجوز للجرحى والمرضى وأفراد الخدمات الطبية والدينية التنازل على حقوقهم في أي ظرف بمقتضى هذه الاتفاقية"، كما نصت المادة الثامنة من الاتفاقية الرابعة "أنه لا يجوز للأشخاص المحميين التنازل عن أي حال من الأحوال جزئيا أو كليا"².

لقد نصت كل الشرائع السماوية على احترام الكرامة للإنسان ليتجاوز الأمر ذلك نحو اتفاقيات دولية، إذ أنه يرتكز على أن لكل الفرد الحق في الاحترام بغض النظر عن انتمائه أو جنسيته أو حتى معتقده، ولقد أعطت البيوانيتقا هذا المبدأ الحيز الأكبر من الاهتمام خاصة مع الثورة التكنولوجية، إذ أصبح الإنسان يعامل كأداة لتحقيق أهداف بحثية مثل تجارب الطب النازي وأسراء الحرب، وهذا ما تطلب التدخل لحفظ كرامة الإنسان والتعامل معه ككائن ذو قيمة دون إهانة.

ثانيا: مبدأ المسؤولية:

- المسؤولية لغة:

"تطلق المسؤولية -أخلاقيا- على التزام الشخص بما يصدر عنه قولاً أو عملاً، وتطلق [قانونيا] على الالتزام بإصلاح الخطأ الواقع على الغير طبقاً للقانون"³.

¹ نور الدين رحمون: كرامة الإنسان والممارسات البيوطبية والبيوتكنولوجية المعاصرة، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج6، ع1، الجزائر، 2021، ص 221.

² كمال العرفي: بشير بن لعيرم، مبدأ الكرامة الإنسانية وإثارة في الأمن الإنساني، مجلة الإحياء، 23، ع 32، قسنطينة، 2023، ص 574.

³ إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، ج1، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط2، 1972، ص 411.

- اصطلاحاً: "هي إلزام الشخص بضمان الضرر الواقع بالغير نتيجة لتصرف قام به" وهي أنواع المسؤولية التعاقدية ضمان الضرر الناشئ عند الإخلال بالعقد والمسؤولية التقصيرية ضمان الضرر الناشئ عند الفعل الضار".¹

لقد ركزت البيواتيقا على هذا المبدأ خاصة في الأبحاث الطبية لهذا نجد للمسؤولية الطبية جانبان هما:

- الأول: مهني يتعلق بمهنة الطب وقواعدها وأصولها التي يلتزم بها الطبيب.
- الثاني: يتعلق بالأخلاق والآداب العامة التي يجب مراعاتها كما أن القسم المهني يلزم الطبيب بالعقد الذي أبرمه مع المريض موفياً لشروطه وأركانه وأي مخالقات تعرضه للمحاسبة، أما القسم الأخلاقي والسلوكي يراعي فيه جانب التعامل من حسن الخلق، تهوين شأن المرض، وتجنب العبوس في وجه المريض.²

تقول "جاكولين روس": أن مبدأ المسؤولية يبدو على أنه عين روح الثقافة ما بعد الأخلاقية فإذا امتنع فصل نداءات المسؤولية عن تقديم فكرة الالتزام الأخلاقي، كانت سمة هذه النداءات المميزة في أنها لن تدعو في أي مكان إلى تضحية الذات على مذبح مثل عليا رفيعة".³

إن مبدأ المسؤولية اليوم هو الجوهر الأساسي الذي يقوم عليه العصر الحديث، إذ لم يعد يعتمد على الأخلاق الكلاسيكية القائمة على الالتزام الأخلاقي القائم على شكل أوامر بصيغة "افعل" "يجب عليك" فنحن في عصر ما بعد الأخلاق، إذ هناك قطيعة التصورات التقليدية الصارمة إذ هي محكومة بضوابط مطلقة وأوامر كونية وتلزم بالتضحية من أجل قيم كبرى كالوطن مثلاً والشرف لكن مع التقدم العلمي لم نعد نعيش في ثقافة تفرض علينا الأخلاق بالقوة بل نحن مسؤولون خاصة مع تطور الوعي الفردي، فكل فرد يقوم بواجبه انطلاقاً من وظيفته ودوره في المجتمع.

ثالثاً: مبدأ احترام قدسية الجسد:

إن الجسد بنية عضوية لها خصوصيتها لهذا دعت البيواتيقا لحمايته من أي ضرر وجعلته أحد أهم مبادئها.

¹ محمد رواس قلعي وآخرون، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1 1996، ص 395.

² قيس بن محمد آل الشيخ مبارك: التداوي والمسؤولية الطبية في الشريعة الإسلامية، دار الفرابي للمعارف، سوريا، ط3، 2006، ص 32.

³ جاكولين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، مصدر سابق، ص 41.

تقول "جاكولين روس" "إن علم الحياة والطب يشتركان في أن موضوعهما هو الجسد والحياة وعلى هذا فإن المبدأ الأول للأخلاق الحياتية في هذا المنظور سيكون مبدأ احترام ((الجسد الشخصي))... فالجسد وهويته ميتافيزيائية، يعبر في كل لحظة عن طراز وجود وهذا الجسد المعاش هو ما لا تستطيع أي تقنية تمويهه".¹

هناك تداخل بنيوي بين البيولوجيا والطب من حيث أنهما يشتركان في موضوع جوهري واحد هو الجسد ولكن هذا لا يعني بالضرورة التطابق، فالبيولوجيا تعنى بدراسته بكل تفاصيله وأجزائه الداخلية والخارجية والطب يعمل على تخفيف آلام هذا الجسد واكتشاف العلة، وهذا ما جعل منه موضوع للبيواتيقا إذ يمثل مادة للتجارب وتطوير البحث العلمي وهذا فتح الباب أمام الاستغلال لهذا كانت هناك ضرورة لجعله مبدأ أساسي، فالجسد رغم كونه بنية مادية إلا أنه له بعد وجودي فالبرغم من التغيرات التي تطرأ عنه مثلاً عمليات تجميل إلا أنه لا يمكن أن تغير ما بداخله هناك روح، حياة وإنسان مختلف عن الآخرين.

"لقد أصبح جسد الإنسان يستغل في أمور تسويقية، أصبحت هناك تجارة أعضاء، وهذا ما حط من قيمة الإنسان أصبح مثله مثل الآلة في التعامل «يعتبر الجسد جزءاً هاماً من رأس المال في المؤسسات الإعلامية البصرية، حيث يوليه القائمون على هذه المؤسسات أهمية بالغة أثناء اختيار الموظفين الذي يظهرون على واجهة المؤسسات الإعلامية أي على الشاشات والصور والملصقات الإشهارية، خاصة في وسائل الإعلام المرئية»".²

أي أنه هناك استغلال للأجساد من أجل تحقيق الربح، حتى ولو كان ذلك من خلال المظهر إذ أصبح الجمال والجاذبية معايير تتخذها المؤسسات الإعلامية لاستقطاب المشاهد، لهذا تدخلت البيواتيقا لوضع حد لهذه التصرفات اللاأخلاقية وإعادة توجيه الإعلام للرفع من الكرامة الإنسانية وإعادة الاعتبار للذات والجسد.

¹ جاكولين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، مصدر سابق، ص 120.

² قواسم بن عيسى: ميديولوجيا الجسد بين التنميط الإستيطقي والتبضيع التجاري، مجلة الرسالة للدراسات الإعلامية، مج 04، ع 01، سعيده، 2020، ص 53.

استنتاج:

وصفوة القول أن البيواتيقا مجال فلسفي، ينشد التوازن بين السلطة البيولوجية والمسؤولية الأخلاقية لازمة المعنى في حضارة ما بعد الحداثة، حيث يصبح العلم قادرا على التحكم في بداية الحياة ونهاياتها بين الممكن والمشروع تسعى البيواتيقا من خلال مبادئها إلى إيجاد حلول توجه بها مسار العلمي لتحقيق أهداف نبيلة تخدم الإنسانية وتحقق الرفاهية.

نستنتج من خلال ما تطرقنا إليه في هذا الفصل ما يلي:

- إن البيواتيقا فرع يهتم بدراسة أخلاقيات البحث العلمي لا سيما في مجال البيولوجيا ويحاول جعلها تحترم الكائن الحي عن طريق تسخير التقنية وتوجيهها في خدمة الإنسانية.
- تعتبر البيواتيقا مبحثا مستحدثا إلا أنها تضرب بجذورها في عمق التاريخ ما تعلق بالأخلاقيات الطبية إذ تجسدت في قسم "أبقراط" كنداء للضمير المهني، في المرحلة اليونانية، وقد تطورت وازدهرت هذه القيم مع العلماء المسلمين لكن لأمر اختلف في أوروبا إذ امتزج بالمعتقدات الدينية متأثرة بالإطار الديني الكنيسي.
- لقد شاهد العصر الحديث طفرة علمية خاصة في ميدان الصناعة والاكتشافات حيث تم تجاوز كل العوائق التي كبلت الأبحاث ما فتح الباب للاطلاع على أدق تفاصيل الحياة، خاصة مع ظهور نظرية داروين "النشوء والارتقاء" وتجارب كلود برنار في ميدان البيولوجيا، بدء العقل العلمي يقتحم مجالات حساسة مما مهد الطريق للكثير من التجاوزات الأمر الذي استدعى قيام فرع جديد عرف بأخلاقيات البيولوجيا.
- إن الثورة البيولوجية نقطة مفصلية في تاريخ الفكر العلمي خاصة مع إدخال التقنيات والعبث بالخارطة الوراثية أصبح الجسد موضوعا للتقدير والتطور مما عزز القدرة على التحكم في مصير الإنسان وهذا ما أدى إلى نقاشات ومسائلات قيمة تتجاوز حدود الزمن والمكان.
- ركزت البيواتيقا على احترام الذات وجميع الكائنات انطلاقا من أننا جزء من هذا الكون فوضعت بذلك مبادئ أساسية وأهمها "مبدأ المسؤولية"، فنحن مسؤولون على حماية الأجيال القادمة والحفاظ على توازن البيئة وهذا ما أكدته "جاكلين روس" في دراستها للفكر الأخلاقي المعاصر.

الفصل الثاني: التنظير الفلسفي لأخلاق الحياة عند جاكلين روس.

المبحث الأول: جاكلين روس حياتها ومرجعيتها الفكرية.

المبحث الثاني: عقبات الأخلاق الحياتية.

المبحث الثالث: إعادة صياغة الكينونة البشرية.

تمهيد:

لقد حدثت طفرة ابستومولوجية في التفكير البشري خاصة ونحن في عصر التقنيات حيث انتقل الإنسان من مرحلة الفهم والتنظير إلى مرحلة التشكيل، والسيطرة باحثاً عن إنسان فائق متجاوزا الجسد نفسه نحو إعادة هندسة الحياة، إذ لا يعترف في ذلك بتعاليم سماوية أو سلطة ميتافيزيقية إنه إنسان ما بعد الأخلاق وهنا كانت الحاجة ملحة لإعادة ضبط المعرفة انطلاقاً من مقاربات فلسفية نقدية، إذ تمثل "جاكلين روس" نموذجاً لهذا التوجيه مستفيدة من الإرث الفلسفي الذي امتد من الأخلاق الكونية إلى النظرية التواصلية عند هابرماس خاصة وأن التكنولوجيا تحولت من أداة لخدمة الإنسانية إلى وسيلة للسيطرة من خلال تجارب، من ضمنها أجسام محسنة، جينات منتقاة، أعمار ممددة، إنسان نصف آلة، كلها تسعى للوصول إلى الإنسان "السوبرمان" بتعبير "نتشه" فنظرته تجسدت تجريبياً في المختبرات البيولوجية مما جعلنا نتساءل:

- من هي جاكلين روس وإلى أي تيار تنتمي؟ وما هي أهم مصادر فكرها؟
- ما هي العقبات الرئيسية التي تشكل تحدي وتحول دون تطبيق المبادئ الأخلاقية؟
- إلى أي مدى يمكن اعتبار مشروع الإنسان الجديد امتداداً وتجديد لفكرة الإنسان الأعلى عند نشته؟

المبحث الأول: جاكين روس حياتها ومرجعيتها الفكرية:

1. حياتها ومؤلفاتها:

جاكين روس (Jacque line Rose) من مواليد سنة 1949 "بلندن" هي أكاديمية بريطانية كاتبة وأستاذة في كلية بيركبيك جامعة لندن، ولدت روز لعائلة يهودية غير ملتزمة سقيفتها الكبرى هي الفيلسوفة "جيليان روز" اشتهرت من خلال أعمالها التي تدور حول العلاقة بين التحليل النفسي، الأنثوية والأدب تخرجت روز من كلية سانت هيلدا، اكسفورد وحصلت على الماجستير من السوربون، باريس والدكتوراه من جامعة لندن.¹

جاكين روس مؤلفة موسوعية وأستاذة جامعة تعد الطلاب لامتحان "الإجازة" في الفلسفة (فرع الأخلاقيات)، كما تحمل دكتوراه في الفلسفة والعلوم الإنسانية لها مؤلفات عديدة باللغة الفرنسية في الفلسفة وتاريخها وطرق تعليمها ولها قاموسا فلسفيا من بين مؤلفاتها المعرفة والسلطة 1985، المناهج في الفلسفة 1992 والمشهد الكامل للأفكار الفلسفية.²

تعد جاكين روس تلميذه ليفانوس وقد اشتهرت بمؤلفاتها نجد من بينها كتاب "الفكر الأخلاقي المعاصر" إذ يعد بمثابة مرجع فلسفي أساسي خاصة وأنه يتناول تحولات كبرى للمعايير الأخلاقية في ظل التقدم السريع للابتكارات العلمية، ويحاول تسليط الضوء على القضايا المعاصرة من خلال مبدأ المسؤولية. كما يجب الإشارة إلى أنها قد قدمت في مؤلفها "مغامرة الفكر الأوروبي" طرحا كرونولوجيا لتطور الفكر الفلسفي الغربي حيث استحضرت المراحل الكبرى من الفلسفة اليونانية وصولا إلى التيارات المعاصرة، من خلال قصة الأفكار إذ تقول "أن هذا الكتاب الذي يعتبر مشهدا عاما لتاريخها لعالم الأفكار الغربية ولهذا الفضاء الفكري الذي نلده، ثم نعود ونهتدي به، يهتم بالظروف التاريخية لبروز هذه الأفكار وتطورها، ولغايتها بحكم كونها خاضعة لمرور الزمن"³ يتضح من خلال ما قدم أن هذا الكتاب نتاج لتفاعل الإنسان مع زمنه، فالأفكار لا تخرج عن سياقها التاريخي، إذ تصفها الغربية الغير مألوفة فنحن من ابتكرها ثم نعود باستمرار لنفهمها أو ننتقدها لنصوغ بها سلوكياتنا، كما تؤكد أن هذه الأفكار ليست ثابتة تتغير، تتطور وربما تستبدل أي تخضع لتقلبات الزمن.

¹ جاكين روز، موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، تاريخ الدخول 15 ماي 2025، <http://ar.wikipedia.org/wiki>.

² جاكين روس: مغامرة الفكر الأوروبي قصة الأفكار الغربية، تر: أمل ديبو، هيئة أبو ضبي للثقافة والتراث، أبو ضبي، ط1، 2011، د. ص.

³ المصدر نفسه، ص 29.

كما أن "جاكين" لم تكتفي بعرض تطور الفكر الفلسفي بل وضعت منهجية لتوجيه الطلاب الأكاديميين، حيث استعرضت أدوات منهجية تساعد على فهم المسائل الفلسفية من تحليل النصوص ومقالات إذا ركزت على المنهج حيث تصف الكتاب "هذا الكتاب مخصص للمنهج: إن هدفه ليس اقتراح قراءة لعدد من النشاطات الفلسفية المحررة انطلاقاً من مواضيع معينة، بل وضع طريقة تفكير شخصية لكل طالب"¹ نفهم من خلال ذلك أنها حاولت أن تجعل كتابها أداة مساعدة للطلاب بحيث لا يكون التعليم الفلسفي قائم على الترقيم والنسخ فهي ترفض النمطية وبذلك هو دعوة للطالب لبناء أسلوب خاص به قائم على النقد والتحليل العميق والاستدلال.

2. مرجعيتها الفكرية:

أ. إيمانويل ليفيناس واللقاء مع الآخر:

لقد كان لإيمانويل ليفيناس الأثر الكبير في تشكل فكر "جاكين روس" إذ أنه "انطلاقاً من الوجه الإنساني تتأسس كل علاقة إيتيقية مع الآخر، لذلك جعله ليفيناس المفهوم المحوري والذي تردفه المفاهيم الأخرى في إيتيقا الغيرية عنده، فمن خلاله التقى وواجه واستقبل الآخر فهو أساس كل لقاء وجه لوجه مع الآخر".²

يتضح أن الوجه الإنساني عند ليفيناس يعتبر رمز لحضورها الآخر إذ لا يعتبر مظهر فيزيولوجي فقط لأنني من خلاله أرى الآخر وأدرك مسؤوليتي نحوه إذ لا يمكنني الهروب من نداء الآخر، فهذا اللقاء في ذاته يخلق داخلنا التزاماً أخلاقياً فمثلاً الطبيب عند لقائه بالمريض فهو لا يرى فقط حالة ضعف أو ما يعرف بالحالة السريرية بل يرى إنسانيته يرى إنسان له وجه له ألم وفي نفس الوقت أمل وهنا يظهر الجانب الأخلاقي في هذا اللقاء بين الوجهين هو لقاء أنطولوجي يوقظ فينا الحس الأخلاقي. إذ يقول ليفيناس "الإنساني هو القلق على موت الآخر قبل الاهتمام بالذات لأن الإنساني هو موت من أجل الآخر"³ هنا يضعنا ليفيناس مع أكبر مثال في التضحية إذ أنه يطرح موقفاً أخلاقياً في أرقى تجلياته كنوع من الإيثار

¹ جاكين روس: المناهج في الفلسفة، تر: عبد العزيز ربح، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط1، 2020، ص 18.

² فايزة بغياني: الأدب الروسي كمدخل لإنسانية التضحية عند إيمانويل ليفيناس، مجلة جسور المعرفة، مج 10، ع 3، الجزائر، 2024، ص 24.

³ فايزة بغياني: الأدب الروسي كمدخل لإنسانية التضحية عند إيمانويل ليفيناس، مرجع سابق، ص 27.

والانشغال بمصير الآخرين قبل الذات كتجديد للإنسانية فمثلا طبيب يخاطر بحياته لعلاج مريض مصاب بوباء معدي.

تحاول "جاكين روس" في كتابها "الفكر الأخلاقي المعاصر" استعادة بعض المفاهيم التي شكلت منعطفًا حاسمًا، في الحقبة الكلاسيكية من بينها مفهوم "الوجه" كنداء للآخر تحاول تفعيله داخل سياق معاصر كامتداد للإرث الليفيناسي حيث تقول "لقد استعاض "ليفيناس" بأولوية الأخلاق النظرية عن أولوية المذهب، المعرفة، التجريد"¹.

أن ليفيناس لم يجعل الاستمولوجيا هي المنطلق لفلسفته كما فعل ديكرت وهيجل إذ ركزوا على الذات، كمرکز من جانب نظر تجريدي بل أقامها على العلاقة الأخلاقية مع الآخر من زاوية وجودية مسلمة في الواقع انطلاقًا من أن الإنسان كائنًا مسؤول أولًا قبل أن يكون مفكر، حيث أنها ترى أن "بلوغ الوجه يبدو أخلاقًا نظرية دفعة واحدة. وأمام المنظر العاري للوجه إدراك المعنى، إدراك اللانمائي. وإذا كان القتل حادثًا مبتدلاً وكان يبدو أنه يطرح على المناقشة مسؤوليتي الأخلاقية خيار الآخر"² إذ فعل "القتل" هو كرد فعل يمثل رفض للآخر وانكار لإنسانيته كما أنه كذلك ينوه لمسألة "العنف" التي استفحلت في الآونة الأخيرة وأخذت أشكال عديدة، باسم تحقيق النظام وهذا يرد حسب "روسو" إلى طمس الوجه لهذا تقول "في هذا الإهمال المطلق للوجه، والوجه بآن واحد واه، مهدد ومقدس، وهو يفرض علي وعلى الأقل حكماً، منع العنف"³ إن إلغاء الحضور الإنساني للآخر يسهل التعامل معه كشيء أو كرقم أو حتى عدو وهذا يمهّد للعنف، مثل اقضاء فئات من المجتمع خاصة لطغيان وسائل الإعلام إذ يختار لهم في صور نمطية عميقة. يرى "ليفيناس" أن الإنسان أي الآخر هو مصدر للواجب الأخلاقي كما يرى أن الله ذاته يتجلى في وجه الإنسان إذ يقول "إنني لا أقول أن الآخر هو الله بل أقول أنني أسمع في وجهه كلام الله".⁴

يحاول ليفيناس أن يبين أن وجه الآخر هو موقع حضور واستدعى أخلاقي وتجلي الكلام الإلهي لهذا يميز نوعين من الآخر وهو الإنسان الذي يراه والآخر الإلهي الذي تتعذر رؤيته ولكنه يظهر ويخاطبنا من خلال الأول وبهذا تكون الأخلاق التي ينادي بها "ترستدالية" دينية له عمقا صوفيا أما "روس" تتقاطع مع هذه الرؤية لأنها ترى أن علاقتنا مع الآخر لا تحتاج إلى وسيط ميتافيزيقي غيبي بل تتأسس على إنسانية

¹ جاكين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، مصدر سابق، ص 65.

² المصدر نفسه، ص 65.

³ المصدر نفسه، ص 66.

⁴ جاكين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، مصدر سابق، ص 65.

واقعية من خلال التواصل فالآخر يتجلى في الإنسان فقط بينما لفيناس يجعل الآخر في الله والإنسان وهذا لا يعني أنه لم يقدم إسهاما مهما في هذا السياق حيث «تهدف فلسفته إلى إعادة الاعتبار إلى الفرد الذي أهدرت كرامته القوى المجهولة الكبيرة التي انشغلت الفلسفة الغربية بتأملها وتأسيسها»¹.

من خلال هذا نرى من لفيناس محاولة جادة في إعادة الاعتبار للفرد لأنه عندما يتم تجاهله لحساب الكل مهما كان نظام أو مصلحة شخصية ستهدر كرامته ويعامل كمجرد وسيلة لا كفاية قصوى.

ب. الأخلاق النظرية عند كانط:

يعد كانط فيلسوف "العقل النقدي" خاصة من خلال ما وضعه من مؤلفات تعرض فيها فلسفته، التي كانت محطة مهمة في تاريخ الفكر الغربي حيث جمع بين العقلانية والتجريبية، لهذا اعتبرت فلسفته مثالية. تقوم فلسفة كانط في مجال الأخلاق والقيم على مجموعة من الأسس فهي تقوم أولا على أن الفعل الأخلاقي صادر عن العقل وحده بصورة قبلية دون حاجة إلى معرفة بعدية تجريبية، كونها ربطت القيم بما هو مادي نفعي وجردتها من طابعها المثالي كما يخضع الفعل الخلفي لمبادئ الواجب أي تتبع من الإرادة الحرة الخيرة والنية الطيبة².

تسند الأخلاق الكانطية على مبادئ أساسية من بينها أن العقل هو المصدر للأوامر الأخلاقية بصورة قبلية أي قبل العقل أي أنها ليس لدينا معرفة سابقة، عن نتائج الفعل أو آثاره فقط فنحن ملزمين بما يمليه علينا الواجب المجرد من المادية التي تأخذ الطابع البعدي (أي بعد الفعل الأخلاقي).

لقد مثل كانط مرجعية مهمة للفيلسوفة جاكين روس، إذ تقول [إن الصياغة الكلية هي أفق التفكير المعاصر الذي يربط اللغة بالجماعية الكلية للاتصال وبـ ((ويجب عليك))...إذن بوجه عام يمثل (كانط) إحدى المرجعيات الكبرى للأخلاق النظرية في عصرنا]³.

تشير جاكين روس إلى القانون الأخلاقي الكلي عند كانط إذ ما يزال حاضر بقوة في تفكيرنا المعاصر، وكيف يمكن للفعل الأخلاقي أن يتحول إلى قانون ينطبق على الجميع بصورة كونية وعامة من خلالها أصبحت توجه وتفتح الكثير من النقاشات الأخلاقية في فضاءات ومجالات عديدة في إطار تواصلنا، ومن هنا يصبح الواجب الكانطي شرطا ضروريا ومرجعا نظريا ينبغي العودة إليه في خضم معالجتنا للقضايا الراهنة من الاستنساخ، التعديل الجيني، الموت الرحيم، أطفال الأنابيب وبنوك الأرحام وفي كل مرة نستحضر المعايير الكانطية، وبهذا نجد جاكين تعيد قراءة كانط وتسقط أفكاره على واقعنا الحي، إذ أخذت منه فكرة الالتزام الأخلاقي.

¹ جوديث بتلر: الذات تصف نفسها، تر: فلاح رحيم، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2014، ص 22.

² هشام مصباح، ماكس شيلر ونقد الأخلاق الصورية الكانطية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ج7، ع4، الجزائر 2018، ص 741.

³ جاكين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، مصدر سابق، ص24.

ج. جون رولز: العدالة كإنصاف:

"لقد اهتم رولز بالعدالة من الناحية المفاهيمية، فدرس بذلك مفهوم العدالة الكلية والمساواة والديمقراطية بالإضافة إلى اهتمامه بكيفية تطبيق العدالة ضمن المجال الاقتصادي من خلال توزيع الثروات العادل بين أفراد المجتمع، كما أحاط رولز بالناحية الأخلاقية من خلال طرح قضايا الواجب والالتزام وكل ذلك من أجل تحقيق العدل في المجتمع وجعله منظماً، فجعل من العدل مبحث رئيسي للخطاب الفلسفي العملي المعاصر"¹.

يقول رولز في كتابه "نظرية في العدالة" "العدالة هي الفضيلة الأولى للمؤسسات الاجتماعية كما هي الحقيقة للأنظمة الفكرية... فهي لا تسمح بالتضحيات المفروضة مقابل مجموع أكبر من المنافع يتمتع بها الأكثرية"².

يؤكد عالم الاجتماع "جون رولز" أن العدالة كقيمة أخلاقية خيرة هي جوهر المؤسسات الاجتماعية التي تمثل الدولة كالقضاء، الاقتصاد... إلخ، فإذا فقدت هذا المبدأ تخرج عن الدائرة الأخلاقية وتصبح منبوذة اجتماعياً وفكرياً مهما كان فعالية نتائجها كما أنه يرفض التضحية بالأقلية في سبيل تحقيق الخير الأكبر من النفع حتى تستفيد منه الأغلبية، ونستنتج من خلال ذلك أنه يرفض المبدأ النفعي وفي هذا فهو يتقارب مع كانط الذي يرفض كل أشكال الغاية النفعية يعتبر استغلال الأشخاص في تحقيق أهداف معينة مهما كانت الوسائل هو غياب للعدالة أو ما يسميه بالإنصاف، فمثلاً دولة تطرد أقلية دينية بحجة تخفيف التوتر مثلاً بين المسلمين واليهود بالاعتماد على رأي الأغلبية هذا لا يتوافق مع عدالة رولز ويرفضها تماماً.

لقد كان "ليجون رولز" الأثر الأكبر في منطق تأسيس رؤية "جاكين روس" حيث يقول "يتحدث رولز عن حجاب الجهل، ولولا هذا الحجاب لما خضع اختبار مبادئ العدالة للعقلانية ولما أصبح تابعا للتسويات الاختبارية ولانحراف على هذا المنوال شطر النفعية"³.

إن مصطلح "حجاب الجهل" هو نقطة مركزية في فلسفة "رولز" حيث يقول «إن الأطراف يتموضعون خلف حجاب الجهل لا أحد يعرف مكانه في المجتمع، طبقته الاجتماعية... ولا يعرف نصيبه من التوزيع المتعلق بالإمكانات والموجودات»⁴ وما يقصده هو أنه يرى الأفراد يجتمعون لوضع أسس عادلة وبهذا لا يعيرون أي إهتمام للطبقات الاجتماعية وبهذا فحجاب الجهل يمنعه التحيز الشخصي وتكون هذه الأسس أكثر نزاهة وموضوعية.

¹ روضة يونس، العمالة من "رولز" إلى "هابرماس"، ومن "هابرماس" إلى "رولز"، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، المجلد 10، ع2، الجزائر، 2022، ص ص، 749-750.

² جون رولز، نظرية في العدالة، تر: ليلي الطويل، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د.ط، 2011، ص ص، 29-30.

³ جاكين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، مصدر سابق، ص ص، 98-99.

⁴ جان روز، نظرية في العدالة، مرجع سابق، ص ص، 181-182.

ولهذا اهتمت جاكين بهذا المفهوم، فبفضله يمكننا أن نختار مبادئ العدالة لأننا لا نغير أي اهتمام بخلفية كل شخص هويته، ذكائه، معتقده، فغياب هذا "الحجاب" سيحاول كل شخص بدافع مصلحته الشخصية إقامة مبادئ في خدمته، وهذا ما يتنافى مع مفهوم العدالة، كما تؤكد "روس" أنه من خلاله يمكن اختيار تلك المبادئ، انطلاقاً من الفعل وليس الذات.

لقد قدم "جون رولز" تصوراً عقلياً للعدالة فمن خلاله أعادت "جاكين" بناء ذلك التصور من منظور معاصر للمسألة عن قضايا مستحدثه، تتعلق بالحريات والحقوق، والكرامة الإنسانية من خلال موقف نقدي تأمل من خلاله حفظ السلالة الإنسانية والكف عن العبث بالبنية الجسدية للكائن الحي.

د. هانز يونس أخلاق المستقبل:

"هانز يونس المفكر الألماني المولود سنة 1903 وهو تلميذ (هوسرل) (هيديجر) يشيد الأخلاق النظرية القادمة، أخلاق حضارتنا الثقافية (...) فالأخلاق التقنية عند (يونس) ترتاد وجوه المسؤولية وهي ترتبط بميتافيزياء وتكلم هي ما وراء الأخلاق وقد تطلعت شطر المستقبل البعيد الذي نحن مسؤولون عنه".¹ إن "هانز يونس" ينظر للأخلاق جديدة تطلعية نحو المستقبل في ظل التغيرات التقنية، إذ يشدد على مبدأ المسؤولية وضرورة تحمل عواقب استخدام التكنولوجيا وتأثيرها على الطبيعة والإنسان ومن ثم فهي مرتبطة بالميتافيزياء، أي أنها تطرح أسئلة كبرى حول ذات الوجود، والحياة والمستقبل ففي النهاية نحن مسؤولون عن مصير كوكبنا ومستقبل الأجيال القادمة.

"تحاول أخلاق المسؤولية عند هانز يونس أن تنبه الإنسان المعاصر إلى أن المشكلة، التي تواجه العقل البشري اليوم ليست توفير إمكانيات الحياة المريحة ووسائل الرفاهية وإنما مشكلة ضمان هذه الحياة واستمراريتها، فالنقلة النوعية التي وصل إليها الإنسان يسعى للسيطرة على الطبيعة واستغلالها وبما أنه المتسبب الأول في كل هذا الأذى يجب عليه تحمل المسؤولية".²

كما أننا نجد جاكين تبرز من خلال ما تناولته في الجزء الخاص من كتابها الذي كان بعنوان (من كانط إلى يونس): من الأمر القديم إلى الأمر الجديد حيث أننا سبق وتناولنا الواجب الكانطي الأخلاقي القائم على النية أو المشيئة من خلال الإرادة الحرة، كونه أمراً قالياً لكن مع يونس يختلف الأمر لأنه يؤكد على نتائج الفعل كأمر بعدي وهذا ما نفاه كانط، فعند هانز هو التطلع لما هو قادم وتتنبؤ به من خلال نتائج ممارسات الإنسان وهذا هو من القديم إلى الجديد.

لقد كان تأثير (يونس) واضح لهذا نجد (جاكين) تؤكد على مبدأ المسؤولية من خلال الأوامر الرباعية وتتجلى في:

¹ جاكين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، مصدر سابق، ص 79.

² بن سباع محمد، الفلسفة الأيكولوجية عند هانزيونس، نحو أخلاق جديدة لمستقبل الطبيعة والإنسانية، مجلة العلوم الاجتماعية، مج 15، ع 26، قسنطينة، 2018، ص 97.

- ((اعمل على نحو تكون نتائج عملك متسقة مع استمرار حياة إنسانية حقيقية على الأرض)).
- ((اعمل على نحو ألا تكون نتائج عملك هدامة)).
- لا تفسد شروط البقاء اللامحدود للإنسانية على الأرض)).
- ((ادخل في اختيارك الحالي تمام مستقبل الإنسان بوصفه موضوعا ثانويا لإرادتك)).¹

وخلاصة ذلك أن أنماط عملنا يجب أن تكون في خدمة الإنسانية حيث لا تنعكس نتائجها بالضرر على وجود الإنسان وعلى الحياة على سطح الأرض وبالتالي عدم المساس بالتنوع الحيوي، الذي هو شرط لاستمرار هذا العالم، فأى قرار متضمن إرادة الإنسان لا يقل شأنًا كونه له تابعة حول ما هو قادم، لهذا فأى قرار حول موضوع معين يجب أن ينظر لعواقبه مستقبلا، حتى وإن كان بمحظي إرادتك.

هـ. يورغن هابرماس: إيتيقيا التواصل:

يعد يورغن هابرماس Yurgen Habermas فيلسوف وعالم اجتماع اهتم بالسوسيولوجيا، لأنها أكثر العلوم ارتباطا بعقلنة، ألماني معاصر من مواليد 1929 يعتبر أكثر ممثلي الجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت لذلك اعتبره الكثير حقبة تجدد في تاريخ المدرسة.²

في كتاب هبرماس "إيتيقيا المناقشة ومسألة الحقيقة" حاول أن يضع أخلاق تواصلية متفق عليها من قبل الجميع في إطار ما يعرف بالفعل التواصلية محاولا إعادة الاعتبار للآخر من خلال نقده لمركزية الذات بحيث [أن فلسفة الذات أكل الدهر عليها وشرب وحن الوقت لهجرها]³ نحو البيئذاتية في إطار عقلاني وذلك "بغرض البحث عن اتفاق عقلاني مدروس".⁴

بحيث لا يتم فيه إقصاء للآخر، فالحدثات قد أفرزت العقل الاداتي فاهتزت مكانة القيم فنتج عن ذلك الاستعمار، التشيؤ مما جعل الإنسان يعامل كشيء مادي، مثل ما يعامل العامل الألة، أصبح هناك فجوة إنسانية أو يعرف بالفراغ الروحي وأزمة الهوية، إذ نجد هابرماس يحاول " في إطار نظرية الفعل التواصلية، إرساء معقولية سلوكية مفادها أن شخص معين ومهما يكون محيطه الاجتماعي ولغته وشكل حياته الثقافية فإنه ليس بمقداره عدم الانخراط داخل الممارسات التواصلية".⁵

¹ جاكين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، مصدر سابق، ص 82.

² مالك سماح، يورغن هبرماس من الحدثات إلى التواصل، مجلة الرسالة للدراسة الإعلامية، المجلد 6، العدد 1، الجزائر، 2022، ص 297.

³ يورغن هابرماس، إيتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، تر: عمر مهيسل، الدار العربية للعلوم تأشيرون، لبنان، ط1، 2010، ص 19.

⁴ المرجع نفسه، ص 26.

⁵ المرجع نفسه، ص 30.

يحول هابرماس من خلال نظريته التواصلية وضع قاعدة عقلية مضمونها مهما كان انتمائك ولغتك ومعتقدك وثقافتك الاجتماعية، لا يمكن أن تعيش خارج دائرة التواصل لأنك مهية لا إراديا للانخراط فيها. "إن العقلانية الاتصالية وهي حافز العقل العملي، تقدم معيارا يتيح الحكم على شفافية السبل الاجتماعية، وهي تتبع كذلك تصور بناء (الحق) ويفرض تعميما كليا للمصالح، بوصفه جملة الشروط الضرورية لاتفاق الحرية".¹

تؤكد جاكين روس أن العقلانية الاتصالية ليست مجرد تنظير بل هي فعالية عملية، كما أنها تسمح لنا بالحكم على شفافية ومشروعية النظم الاجتماعية كالبنود القانونية والدستورية مثلا وتكون بصيغة علنية قابلة للتحليل والتبرير كما يتيح لنا كيفية بناء الحق أو نظام للحق، أكثر شرعية وشفافية تقتضي الاتفاق بحيث تتيح لكل الأفراد الحق في المشاركة بحيث تحترم الحريات وهذا ما نجده في مشروع هابرماس وبذلك نلمس تأثير الفلسفي على جاكين روس.

إن العقلانية التواصلية التي ينشدها "هابرماس" هي بالفعل من الأعمال الكبيرة التي اهتدى إليها العقل الإنساني في التجديد الذي ينادي به "هابرماس" لربط الصلة بمنتجات الحداثة لتكون إضافة فعالة يجب أن تكون من تلك الإيجابيات التي تسير على أعقابها وتؤسس انطلاقا منها".²، يحاول هابرماس من خلال إبراز العقلانية التواصلية إشراك جميع الأفراد في مناقشة كونية تتعدى حدود الحاضر.

¹ جاكين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، مصدر سابق، ص 77.

² بن عمر مفتاح، معالم خطاب ما بعد الحداثة في الفكر الغربي المعاصر، يورغن هبرماس نموذجا، أطروحة دكتوراه، قسم الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، خميس مليانة، 2022، ص 299.

المبحث الثاني: عقبات الأخلاق الحياتية:

1. العدمية وموت الإيديولوجيات:

يختلف الإنسان المعاصر على الإنسان القديم في عديد الأمور وأغلبها ولو وضعنا صورتين لإنسان من قرون ماضية وإنسان من القرن 21 لوجدت الاختلاف بارز جليا فكلما كان يمثل الفضيلة سابقا والأخلاق تغير مع مرور الزمن فقد تأكلت هذه المفاهيم، كما يتأكل الحديد بفعل العوامل والسنون¹.

إن إعلان نيتشه للعدمية هو إعلان لموت كل ما هو مقدس ومن هنا بالذات إنحطت قيمة الأخلاق وأصبح ينظر إليها على أنها مجرد أفكار جوفاء، وبهذا ف"إن العدمية هي ما تميز عالمنا اليوم وهي أكثر عائق يهدد الإنسان المعاصر لأنها تنكر المعنى والقيمة ونعني بها "بوجه الدقة أن كل المرجعيات أو معايير الالتزام تتبدد، وأن القيم العليا تخسر قيمتها، العدمية تدل على المظاهر الروحية المرتبطة بموت الإله والمثل فوق الحسية ومن هذه العدمية تنبت الأزمة الحالية للأخلاق النظرية ومنها يبدأ تشكل القيم الجديدة"².

يتضح أن العدمية هي تلاشي كل المرجعيات التي كانت تفرض نوع من الإلزام في القيم العليا مثل: الحق المقدس والعدل تقف قيمتها لأنها كانت مرتبطة بما هو ميتافيزيقي كإرادة الله، ولكن كل تلك المظاهر سقطت وانهارت المطلقات والثوابت وهذا خلق أزمة أخلاقية، لأنه رغم سيطرة الأخلاقيات الدينية في الحقبة الكلاسيكية إلا أنها كانت تعطي أهمية للأبعاد القيمية وبظهور العلمانية، تلاشت تلك المبادئ والأطر الأخلاقية ووقعت الانحرافات العلمية، وهذا ما استدعى إقامة منظومات قيمية جديدة تتلائم مع روح الحداثة. "نعني مجتمعات ما بعد الحداثة من غياب ما يشكل معيار صحة السلوكات والأفكار ما يعني صدق النظريات المطروحة حول الفراغ الرهيب والخواء والأسس المعتادة الذي تأباه الطبيعة والنفس البشرية أفكار مفككة ومفتتة عديدة عبر عنها نيتشه بالعدمية حيث الفساد وضياح المعنى"³.

إن العدمية تشكل خطر إذ تجعل صعوبة اتخاذ مواقف أخلاقية ثابتة. الأمر الذي يضع البيوايتقا أمام تحدي تأسيس معايير تكون مقبولة عالميا دون تدخل أي سلطة دينية أو إيديولوجية حيث أن «العدمية وموت الإيديولوجيات يقودان إلى سلخ الشرعية من المبحث القيمي وما وراء الأخلاق»⁴، أي عندما تختفي الإيديولوجيات مثل [الاشتراكية، الليبرالية] وتنتشر العدمية يصبح الإنسان المعاصر لا يؤمن بوجود قيم ثابتة إذ سقطت الأنساق التي كانت تؤطر مفاهيم (الخير، العدل، الإنصاف، الواجب) وأفرغت تلك المفاهيم من

¹ صادق جباري: الفلسفة والأزمات: أزمة العدمية، أزمة المعنى، أزمة القيم، أزمة العلوم، أزمة المصير الإنساني، مجلة أبعاد، مج 10، ع 02، الجزائر، 2023، ص 48.

² جاكين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، مصدر سابق، ص ص، 13-15.

³ محمود بوشافة، جاكين روس وتحولات الخطاب الأخلاقي لما بعد الحداثة، مقاربات فلسفية، مج 10، ع 1، الجزائر، 2023، ص 211.

⁴ جاكين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، مصدر سابق، ص 15.

مضامينها وأصبح الإيمان العلمي مرجعية مطلقة، لا يمكن الشك فيه غير أن هذا التقديس الاعمى للعلم قد افضى إلى سلخ الشرعية من البحث القيمي أي أنها لم تعد ضرورية، فالمبحث الإكسيولوجي هو من يحدد ما هو الخير مثلاً وجائز أما الميتافيزيقا فهو يعني بمناقشة الأبعاد الأخلاقية.

2. الفردية وإفلاس المعنى:

تميز "جاكين روس" نوعين من الفردية: "الفردية القديمة، فهي فردية القرن التاسع عشر التي ما فتئت تبدو على أنها غزو وانطلاقاً من أسر مختلف أشكال السلطة أو المشاركة الاجتماعية، أما الفردية المعاصرة في ((عهد الفراغ)) فإنها لم تبقى تشير إلى انتصار الفردانية على القواعد الإلزامية بل تدل على إنجاز أفراد غربيين على الأنظمة على شتى الالتزامات، على الخضوع لسلطة واحدة".¹

تشير "روس" إلى تحول جوهري في مفهوم الفردية، إذ كانت فردية القرن 19 تمثل حركة تحررية، وثورة على السلطات التي كانت تكبل الذات إذ يسعى الفرد إلى الانعتاق منها باحثاً عن الحرية وكأنها تعكس مشروع التنوير، أم الفردية المعاصرة لم تعد مشروعاً للتحرر بل صارت تعبر عن عهد من الفراغ، أصبح الفرد غريباً عن كل سلطة أو نظام أي أنه لم يعد يشعر بانتمائه لشيء في عالم بدون معنى. "هذا التحول إلى الضفة السلبية من النزعة الفردية والذي يحمل شتى علامات الأزمة يبعث الشك من جديد حول ما يمكن أن يضبط أفعال وممارسات الأفراد خصوصاً في ظل الغياب المشهود للمرجعيات والأسس".²

إن التطورات المعاصرة وكثرة الاستعمال الغير العقلاني للتكنولوجيا وإدخالها في جميع المجالات قد أفقدت الإنسان الإحساس بمعناه كذات وبمن حوله لهذا "إن الإنسان المعاصر قد كرس مفهوم الذات خاصة ونحن نجد أنفسنا في "قلب هذا الفراغ ذاته، وهذا الامحاء للمعنى، عندما تتكشف القيم والأفعال على أنها غير ذات أساس، تطرح إذا مسألة مبادئ العمل الجديد وأسس كيف تحكم؟ كيف نتحدث عن خطيئة عن معايير أخلاق نظرية... غروب المعنى يطرح التساؤل عن ((واجب الكون)) عن الأمر، بل وعن الالتزام عينه".³

اليوم نحن في عصر يعيش حالة من الفراغ القيمي، إذ تصبح الثوابت والأسس بناء اجتماعي هش تتزعزع مكانتها تظهر من خلالها مسألة مركزية حول الشرعية الجديدة، التي تحكم من خلالها على أفعالنا وكيف يمكن أن نحكم على سلوكياتنا بأنها خطيئة فتلاشى المعنى النهائي للحياة والكون ولد أسئلة حول الالتزام وما يفرض أن يكون واجب كوني، ليس فقط شخصي وهذا لا يمكن أن يتأسس إلا عن طريق تفكير نقدي عقلائي يقوم على نقد النزعات المادية العلمية وهذا تجسيد لمهمة أخلاقيات الحياة.

¹ المصدر نفسه، ص 16.

² محمد بوشاقة، جاكين روس وتحولات الخطاب الأخلاقي بعد الحداثة، مرجع سابق، ص 213-214.

³ جاكين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، مصدر سابق، ص 14.

3. العلموية والوضعية:

"في الغرب المعاصر، تشير عبارة العلموية إلى المذهب الطبيعي أو الاختزالية أو الإنسانية-العلمانية أي الاعتقاد أن هناك حقيقة واحدة فقط وهي العالم المادي، وأن العلم يقدم الطريقة الوحيدة الجديرة بالثقة لاكتساب المعرفة".¹

وبهذا تكون العلموية تنتمي إلى تيار المذهب الطبيعي إذ تعمل على اختزال وتبسيط الظواهر وتستبعد المرجعيات الدينية وتعلو من قيمة العقل، إذ تؤمن العلموية بالواقع المادي فقط إذ يمكن قياس ملاحظة وإمكانية التجريب عليه وترفض الأصول الميتافيزيقية ولا تعترف بها لأنه لا يمكن تفسيرها علمياً، فالمنهج العلمي هو أفضل أداة لاكتساب المعرفة.

تقول جاكين روس " العلموية التي تدعي حل جميع المشكلات الفلسفية والإنسانية بالعلم وهي تمجد العلم وترى أنه منهل حل أية مسألة إنما تمثل العائق الحاسم دون إقامة أخلاق حياتية صحيحة حريص على استخلاص الدعامة القيمة لكل المعطيات".²

وهذا يعني أن العلموية فكرة متطرفة تقس العلم وتراه هو القادر الوحيد على حل كل المشكلات الإنسانية، فترى الإنسان كائن مادي قابل للتحليل وبهذا يصبح العلم الطريق الوحيد للوصول إلى الحقيقة فكل المواضيع سواء الأخلاقية أو الاجتماعية لها تفسير علمي وهذا يمثل عائق، في محاولة لتأسيس أخلاقيات تطبق في الحياة اليومية فجنون العلم قد تخطى أبعد الحدود وتأتي مهمة البيوايتقا في إعادة قراءته من زاوية أخرى.

إن النزعة الوضعية ليست بعيدة عن العلموية، لأنها تأسس المعرفة على قاعدة العلم التجريبي إذ ترفض كل ما هو ميتافيزيقي «فالوضعية التي لا تكون خصبة إلا على طريقة العلوم الوضعية القائمة على طرد أرفع مسائل العقل، ليست بأقل خطراً من العلموية وهي توأماها يا له من طماع غريب للوضعية العلموية! طماع دراسة الإنسان دون الإنسان وذلك ينفي نوعيته، أي المشروع الإنساني المعنى بالجسد وبالحياة".³

ومما سبق يتبين أن العلموية والنزعة الوضعية وجهين لعملة واحدة أن يشتركان في اختزال المعرفة فيما هو تجريبي وكمي إذ تصف "جاكين" طموح الوضعية بالغريب كونها تجعل في دراستها الإنسان موضوعاً خارجياً وتتعامل معه كأنه مجرد آلة وتهمل كونه كائن حر ومسؤول، يمتلك جانباً روحياً، وبهذا فالوضعية لا تعطي أي اهتمام لجانب غير المادي وهذا سمح بتحويل الجسد إلى موضوع تقني بحث بمعزل عن البعد الإنساني.

¹ سامي عامري: العلموية لأدلجة الإلحادية للعلم في الميزان، رواسخ، الكويت، ط1، 221، ص ص، 28-29.

² جاكين روس، الفكر الأخلاقي في المعاصر، مصدر سابق، ص11.

³ جاكين روس، المصدر نفسه، ص11.

المبحث الثالث: إعادة صياغة الكينونة البشرية:

1. تحسين النسل:

"إن تحسين النسل كفكرة ليست وليدة العصر المعاصر، فقد طرحت منذ القديم إذ نجدها في فلسفة أفلاطون ¹ والتي طرحت في كتابه الجمهورية، فكانت أولى الخطوات هي تربية ذوي النشئ ذوي السلامة الجسدية وتمتعهم بالقدرات العقلية الغرض هو انتقا نخبة من الأطفال الذين سيبنون مستقبل الجمهورية".¹

إن عملية تحسين النسل لها جذور تاريخية فقد سبق وأشار لها الفيلسوف "أفلاطون" من خلال نظريته في قيام "المدينة الدولة" أكد أنه يجب اختيار أفضل الأشخاص جسديا وعقليا من أجل إنتاج أطفال يتمتعون بأفضل الصفات مع حسن تنشئتهم، وبالتالي أكد أنه يجب أن لا يعانون من الأمراض أو عيوب لأنهم س يحملون مشروع قيام الجمهورية الفاضلة.

"أجريت أول تجربة على البشر لتحسين العرق البشري تحت إشراف (إليزابيث تيتشه) أخت الفيلسوف الشهير (فريدريك تيتشه) في ألمانيا عام 1886م حيث اختار سكان منطقة (سكسونيا) والذين يتمتعون بسلالة وراثية راقية بزعمهم، وكان الهدف من التجربة استئصال سلالة بشرية جديدة تكون نقية الدم تتمتع بقدرات وراثية خارقة".²

من خلال هذه التجربة نرى أن فكرة تحسين النسل لاقت قبولا ودراسة كبيرة في ألمانيا إذ توجد نظرة عنصرية حول أن بعض الأعراق والمجتمعات تمثل سلالة أنقى من غيرها في محاولة في تحسينهم وهذا ما يعرف اليوم بالاستئساخ".

لقد اقتراف الألمان الكثير من الجرائم بهدف الوصول إلى أفضل الأجناس من خلال نتائج تطبيقات العلم "أيدت هذه التطبيقات للفرقة العنصرية التي مكنت النظام النازي في عهد هتلر الإبادة الجماعية لليهود في الافران والمقابر الجماعية لنجد كذلك من روافد تحسين النسل المسح الطبي الوراثي الذي يجرى للحوامل... لتعرف على صحة الجنين إذ كان يعاني مرض يمكن علاجه أم التخلص منه بوسائل الإجهاض".³

¹ علال أحمد، خل جمال: التحسين الجيني وتداعياته على المستقبل البشري، مجلة المحترف لعلوم الرياضة والعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 08، ع4، الجزائر، 2001، ص 88.

² أحمد عبد الله مباركي: طرق تحسين الناس للبشري دراسة فقهية، دار كنوز اشبيليا لنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2018، ص 35.

³ سمية بيدوح، فلسفة الجسد، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، د.ط، 2009، ص 55.

يتضح أن ألمانيا استغلت التقنيات الطبية في أغراض سياسية عنصرية خاصة في عهد "هتلر" كالإبادة الجماعية وحادثة المحرقة، كما اختبارات المسح الطبي والكشف عن تشوهات والأمراض الوراثية والتخلص من الجنين قبل اكتماله قد أثارت مسألة أخلاقية وقانونية هو الحق في الحياة لكل كائن.

تقول جاكين روس "أن تحسين النسل الأمر مدان إدانة صارمة وهو مذهب اجتماعي يرمي إلى تحسين العرق ((النقي)) إلى حذف الآخرين، إن تحسين النسل بذكره الحزينة (النازية) يتطلع حتى إلى تعقيم بعض الجماعات البشرية التي بحكم بأنها ونسة".¹

يتضح أن تحسين النسل مذهب اجتماعي يقتضي أنه بإمكان المجتمع تحسين سلالة انطلاقاً من وجود تفوق جيني أي وجود (أعراق عليا وأخرى دنيا) مثال (الألمان واليهود) (البيض، السود) وفي ذلك إقصاء للآخرين لهذا فهو مدان إدانة أخلاقية وإنسانية ويتنافى مع مبدأ المساواة، ليصبح إيديولوجيا بطابع جديد تفرض تصور معين للإنسان مثالي ويكون هو نموذج وحذف كل من يخلف هذه النموذج النقي "أن النازية" تمثل الذاكرة الخزينة إذ تمثل رمزا عالميا للشر والانحطاط الأخلاقي، كما استخدام التعقيم وهو "منع الإنسان عن الإنجاب عن طريق تناول دواء يمنع القدرة على الإنجاب، أو بعمل جراحي يفقد الجهاز التناسلي في الرجل أو المرأة صلاحيته للإنجاب".²

هذا النوع من طرق منع الحمل استخدم في بعض المجتمعات لمنعها على التكاثر انطلاقاً من تصور أنها نجسة ويجب منعها من الاستمرار لأجيال أخرى مثل ما طبق على شعوب إفريقيا. لقد شرعت قوانين وبنود من أجل حماية حقوق الأطفال الغير مولودين وقد أشارت "روس" لذلك بقولها "إن انفاذ أي ممارسة من ممارسات تحسين النسل لتنظيم اشخاص يعاقب بعشرين سنة من السجن الجنائي وأخيراً يتبنى النص بحماية الجنين البشري بخطر تسويقه وإنتاجه لغايات تجارية".³

يتضح أنه بسبب الممارسات الغير قانونية لبرنامج تحسين الناس وضعت بعض القوانين لحظر كل تجاوزات وحماية الجنين، منع استخدامه كأداة لتسويق والربح مثل "الاخصاب الصناعي" والأم البديلة لأن فيها انتهاك للكرامة الإنسانية، وحق في الحياة العادلة.

"أنه منذ أسس علم تحسين النسل البشري وأصابع الاتهام تتجه نحو مؤسسيه، بأن هدفهم الأول منه هو عنصري، بمعنى تفضيل جنس على جنس، يضم من خلال تنشيط سلالات العشائر وقبائل وإقصاء غيرهم وعاقبتهم عن التكاثر بأي طريقة لأنهم جنس وضع وأقلية لا تستحق العيش على الأرض".⁴

¹ جاكين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، مصدر سابق، ص 117.

² عبد الحكيم أحمد عثمان، موانع الحمل الدائمة والمؤقتة بين الحل والحرمة، دار الجامعة الجديدة للنشر. ط1، 2006، ص 32.

³ جاكين روز، الفكر الأخلاقي المعاصر، مصدر سابق، ص 118.

⁴ أحمد عبد الله مباركي، طرق تحسين النفس البشري، دراسة فقهية، مرجع سابق، ص ص 35-36.

لقد انتقل الوضع من تحسين النسل إلى السيطرة على الإنجاب في شكل جديد للحمل حيث "أن السيطرة على الإنجاب تستلزم إعادة تعريف المسؤولية ضمن تنظيم أخلاقي أقل حياتي فمن منع الحمل إلى التلقيح الصناعي... يتغير وجه الولادة ولئن سخر بعض الناس من الأخلاق الحياتية للإنجاب الصناعي".¹ إن طرق الإنجاب تغيرت بدخول التقنيات الطبية الجديدة، إذ أصبح خاضعا لاختيارات بشرية وهذا يدعنا نقف من جديد على مبدأ المسؤولية فالقرارات المرتبطة بالحمل، والإنجاب ليست شخصية إنما تدخل ضمن المسؤولية الأخلاقية، إن بإدخال تقنيات التلقيح الصناعي وأساليب منع الحمل قد غيرت جذريا معنى الولادة هذا الأخير غير الكثير من المفاهيم من بينها "الأمومة" "الأسرة" "الأبوة" فأخلاقيات الإنجاب الصناعي ليست أمر هين ومسألة بسيطة بل هي تتعلق ببعد قيمي إنساني تجاه أجيال لم ترى النور بعد. لهذا تسأل جاكين روس "أفلا يجب على العكس أن أفكر بأن الأخلاق الحياتية تجدها حقا أعظم للتفكير؟ ألا يجب إقامة جملة مبادئ تحدد صفو التجريب والممارسة الذائعة؟".²

2. تغيير الدماغ:

لقد شكل الدماغ منذ الأزل مركز الإدراك والوعي إلا أنه مع تقنيات الحديثة لم يعد مجرد عضو بيولوجي بل أداة للبرمجة عن طريق تعديل الإدراك والسلوك، فنحن اليوم في مرحلة جديدة من زراعة الشرائح الرقمية التحكم بخلايا الجذعية، والقدرة على توجيهه والتحكم في الرسالة العصبية الأمر الذي يضعنا أمام تحديات بين التقدم العلمي وحماية خصوصية الكائن الحي الفيزيولوجية والسيكولوجية وحتى العقلية. "الدماغ The brain" هو كتلة رخوة، ومادية اللون من الخارج بيضاء من الداخل، يقدر وزنها في الإنسان العادي من ثلاث باوندات، محمية داخل الجمجمة بعدة طبقات متتالية عظمية صلبة وليفية ثم لينة هلامية الشكل".³

إن التحكم في الدماغ هو التحكم في كامل الأعضاء أي الجسد البشري وهذا مايمكننا من إمكانية برمجة عقل الإنسان بما تمليه الضرورة وما تدفعه المصالح بحيث: "إن الجهاز العصبي هو جهاز أساسي بالإضافة إلى تأمينه حسن قيام الجسم بوظائفه كاملة فإنه قادر أيضا على الاتصال مع العالم الخارجي، كما يتلقى الجهاز العصبي الاستشارات كافة سواء كان مصدرها خارجي أو داخله ويحولها إلى إشارة عصبية يتم نقلها عبر الأعصاب إلى مركز المعالجة (هو الدماغ)".⁴

¹ جاكين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، مصدر سابق، ص 112.

² المصدر نفسه، ص 112.

³ محمد ريان حمدان: الدماغ والإدراك والذكاء والتعلم، دار التربية الحديثة، الأردن، ط1، 1986، ص 7.

⁴ آن دويرواز: خفايا الدماغ، تر: زينة ذهبي، المجلة العربية، الرياض، ط1، 2015، ص 10.

يتضح أن الدماغ هو وحدة التحكم المركزية في جسم الإنسان إذ أنه متصل بالعالم الخارجي فيحول التنبيهات إلى رسائل عصبية كاستجابة فورية ويترجمها إلى ردود فعل، وإحساس وهذا ما يمكننا من التفاعل الواعي مع العالم الخارجي.

تقول جاكين روس «تغيير الدماغ؟ إن علم النفس التشريحي ينكب على ذلك منذ عام 1935 عندما عالج جراح من لشبونة ذهانات نفسية لجزع الفص الدماغ الجبهي ولكن هل يسوق تصحيح الاضطرابات النفسية الخطيرة بتبديل الشخصية لا هوسا؟ إن على هذا التقويم أن يجعل (صاحب الأخلاق الحياتية أمرا نتعذر معاملته في علم النفس الجراحي».¹

لقد كانت هناك رغبة في إيجاد علاج لبعض الأمراض النفسية مثل "الفصام" وكان العلماء يبحثون عن طرق علاج إذا كانت فرضيات حول أنه يمكن ضبط بعض السلوكيات النفسية بيولوجيا، إذ يكون تأثير مباشر في الدماغ وأثناء تطبيق هذه الفرضيات ظهر سؤال أخلاقي جعل هل من المقبول علاج الأمراض النفسية بتغيير الشخصية تغييرا كلي؟ وهل هذا الأمر مشروع أخلاقي؟، أن الإنسان هو كائن يمتلك كرامة وحرية خاصة لا ينبغي المساس بها لأن ذلك يفوق محور العلاج فهذه التغيرات تفقد الشخص ذاته فيكون "الشفاء" يأتي على حساب الهوية".

"إن التوسع العلوم العصبية ومشروعات علم النفس العقاقير تثير مشكلات جد رهيبية تجعل السيطرة على الجملة العصبية تبدو في نظر (جان بيرنار) مطلبا حاسما وحافلا "بالا تقنيات وبالأخطار".²

إن علم النفس العقاقيري هو مجال يهتم بدراسة تأثير الأدوية على سلوك الإنسان أصبح يمثل مشروع خطير هدفه السيطرة على الجملة العصبية خاصة مع تطور العلوم العصبية والإحاطة بكل تفاصيل التحكم الدماغية، الأمر الذي يجعل بعض الفلاسفة والأطباء أمثال "جان برنار" يتخذ موقف حاسم تجاه هذا المشروع وضرورة الحذر من انحراف تلك التقنيات نحو التلاعب بالسير دون إدراك العواقب، والأخطار القادمة.

3. إطالة أمد الحياة:

منذ فجر التاريخ آمن الإنسان بمسألة "الخلود" إذ نجد الأساطير تروي ذلك فما يعرف بإكسير الحياة أو ينبوع الشباب الأبدي كمعتقد ديني إذ لم يكن الموت أمرا مقبولا كقدر نهائي، حيث أن هذه الفكرة رغم قدمها إلا أنها تسللت إلى عصرنا الحالي في محاولة كشف شفرة الحياة والموت إذ أصبحت الروح موضوع البحث العلمي مما فتح الباب لنقاشات أخلاقية خاصة وأن "الروح" بقيت اللغز الذي عجز العلماء عن فكّه، وهذا ما يجعلنا نتساءل هل يمكن تجاوز الموت بيولوجيا؟ وكيف يمكن للبيوايتقا التعامل مع أبحاث تجاوزت الجسد واستهدفت الجوهر؟

¹ جاكين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، مصدر سابق، ص 115.

² المصدر نفسه، ص ص 114-115.

"لقد حشد علماء الأنثروبولوجيا الأوائل، مثل ((تاييلور E.B Taylor)) و ((فريزر James Frazer)) الأدلة المقنعة على أن عقيدة وجود حياة بعد الموت كانت منتشرة كثيرا في الأقاليم التي تسودها الثقافة البدائية وأن هذه العقيدة قد سادت بين شعوب كثيرة عبر العصور".¹

"فدراسة تاريخ الثقافات الغربية نجد أن فكرة خلود الروح" قد لعبت دورا أكبر من فكرة ((وجود الله)) وقد لاحظ وليام جيمس ذلك عندما قال "إن الدين في الواقع عند الأغلبية من الناس، يعني خلود الروح ليس إلا وأن الله هو موجد هذا الخلود".²

أي أن التاريخ الغربي قد أولى اهتمام كبير بفكرة "الخلود" إذ كان الخوف من الموت سر الاعتقاد بحياة أخرى وهو معتقد ديني أكثر.

لقد أراد العلماء الإحاطة بجميع جوانب الكائن الحي، إذ نجد طفرات الفعل الإنساني تظهر بشكل غير مسبوق من عصرنا اليوم، إذ نجد من بينها "إطالة أمد الحياة إذ تمس الإنسان من حيث هو إنسان، وتبرز نواه قيمية وأنطولوجية، إلى أي مدى تكون إطالة الحياة هذه مرغوبا بها، متمناه؟ من الذي ينبغي أن يفيد منها؟ نحن نعلم أن نتذكر الموت قد يكون أساس حكمه مثل ما كان (كير كغارد) يحدثنا سابقا".³

ترى "جاكين" أن إطالة أمد الحياة تقنية طبية بل تمس جوهر الوجود الإنساني لأنه لا بد أن يكون لها تبعية عليه فمثلا لو طورنا تقنية يعيش خلالها الإنسان 150 سنة فنحن لم نغير العمر فقط بل سنغير نظرة الإنسان نفسها لذاته، ودوره في مجتمعه وكذا علاقته بالزمن، مما يغير تصوراتنا نحو الموت والحياة، كما أن هذه المسألة تضعنا حول نقاشات أخلاقية ووجودية إذ تسأل "جاكين" عن الرغبة في العيش أطول خاصة إن كانت الحياة الذي تنتظرنا مليئة بالألم والمعاناة، كما تتساءل عن الفئة التي يمكنها أن تستفيد منه دون غيرها خاصة وإن كانت هذه التقنية باهظة، وهذا سيعمق الفجوة بين الفئات الاجتماعية ويطرح مسألة أخرى وهي "العدالة البيولوجية الأخلاقية"، لهذا تستحضر "جاكين" الفيلسوف الوجودي "كير كغارد" إذ كان يرى أن الموت يكون أساس حكمة بمعنى إذ أدرك الإنسان أنه محدود أنطولوجيا سوف يركز على ما هو مهم في حياته من مختلف الزوايا العلاقات، المعلومات، الحياة... إلخ، لهذا ينبغي إعادة التفكير «فالموت حافز الحياة والإنسان الجدي يفهم أن فكرة الموت دعوة للفعل. علينا ألا نضيع وقتنا وهذا تماما ما يذكر به (يوناس) عبر إعادة صياغة الأخلاق النظرية حول المسائل المعاصرة".⁴

أي أن الوعي بالموت ليس سبب للقلق بل هو دافع للعمل وللحياة ودعوة للفعل المسؤول إذ لا ينفي السكوت خاصة ونحن في عالم يشهد تحولات خطيرة وسريعة إذ تعد هذه الأخيرة فكرة مركزية عند الفيلسوف

¹ سعيد عويس، الخلود في التراث الثقافي المصري، الهيئة المصرية العامة للآداب، مصر، 1999، ط1، ص 51.

² المرجع نفسه، ص 54.

³ جاكين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، مصدر سابق، ص 80.

⁴ المصدر نفسه، ص 81.

هانس يونس إذ دعا إلى إقامة أخلاق جديدة تواكب مجريات العلم من (تقنيات تكنولوجية، تغيير واختراع مناخ وهندسة وراثية وتلاعب جيني والعبث وعدم احترام للحياة).

"إذن ينبغي كما نرى احترام الحياة وهو أساس آخر للأخلاق الحياتية، ينبغي أن يكون محددًا بكل صرامة، وأن يحظى بقبول فلسفي بالمعنى الحقيقي".¹

إذ يتضح أنه ينبغي احترام الحياة لأنها ليست ظاهرة بيولوجية بل تتعدى ذلك في طرح عميق للمعنى، إذ تتحدد كنمط له قيمة لا يمكن تجاهلها فضرورة وضع أطر ومعايير أخلاقية عقلانية صارمة ضمن رؤية فلسفية تأملية.

4. التحكم في الجهاز الوراثي:

إن ما حققته الهندسة الوراثية من إنجازات خاصة في مجال الجينات والمورثات، مكننا من الدخول إلى عمق النمط النووي للكائن الحي والتحكم في وظائفه، إذ أصبح الجسد ميدانًا للاستثمار وتحقيق الربح، إذ انحرف العلم عن مساره وتحول إلى مجال مليء بالتجاوزات واستغلال الفئات الضعيفة خصوصًا أولئك الذين تدفعهم الحاجة المادية للمجازفة والمشاركة في تجارب غامضة نجهل تداعياتها وهنا تتدخل البيوايتقا كسلطة فكرية وقانونية لتحذر من هذا الانحراف وتعيد ضبط العبث الجيني الذي يمكن أن يؤدي إلى أضرار كارثية على الفرد والمجتمع.

الهندسة الوراثية هي "القدرة على إجراء عملية التحكم بالصفات الوراثية للكائن الحي عن طريق مجموعة وسائل علمية، تمكن من تعديل أو تبديل المادة الوراثية".²

لقد مكن الاطلاع على الخارطة الوراثية في تحديد الخصائص التي تحدد شكل الكائن الحي وبالتالي إمكانية التحكم فيها وحتى تعزيزها مثل تعزيز بعض النباتات لمقاومة الظروف المناخية، حتى أنه يمكن تغيير أو إضافة بعض الصفات باستخدام وسائل علمية حديثة من خلال تعديل أو تبديل الجينات.

"لم يكتف الإنسان بالكائنات التي تتحور وتتحوّل إلى كائنات ممرضة بل أخذ يبحث عن طرق صناعية لتخليق كائنات ممرضة جديدة، فهندسة الجينات كعلم حديث سلاح ذو حدين".³

لقد صار طموح الإنسان إلى أبعد حد، إذ لم يكتفي بالعبث بالكائنات المجهولة والفيروسات مثل كورونا تطور وأصبح أكثر مقاومة للأدوية والمضادات الحيوية، إذ خلق أزمات في العديد من الدول، الأمر

¹ المصدر نفسه، 46.

² سعد عبد العزيز عبد الله الشويرخ، أحكام الهندسة الوراثية، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2007، ص 34.

³ حسان الشمسي باشا: الوراثة والهندسة الوراثية في الجينوم البشري، مجلة الثقافة الإسلامية، مج 13، ع 01، الجزائر، 2017، ص 212.

الذي جعل بعض السياسات تستغل العلم كسلاح جديد بدل المواجهة العسكرية، ويظهر هنا أن هندسة الجينات تتجاذب بين ناحية إيجابية مثل إنتاج أدوية، القضاء على الأمراض الوراثية، تطوير الزراعة، وناحية سلبية تكمن في خلق أوبئة لأغراض عسكرية مدمرة وتهديد الهوية والنوع البشري.

تقول روس "يتضح اليوم الاهتمام بالهندسة وهي جملة الطرق الموصلة إلى المعرفة المباشرة للمادة الوراثية وتطويرها، وقد ولدت في ستانفورد في كاليفورنيا (1971) تقنية إعادة التفاعل الصناعي الموصلة إلى نقل الموارد الوراثية إلى خلية آخذة، ومن جملة الارتكاسات المقلقة، وإذا كانوا يبذلون التراث الوراثي في الهندسة الوراثية؟"¹

هناك اهتمام متزايد في عصرنا الحالي بالهندسة الوراثية وهي مجموعة التقنيات التي مكنت العلماء من الوصول إلى المادة الوراثية (DNA) وتعديلها نشأة في جامعة ستانفورد إذ ظهرت تقنيات جديدة من بينها "الحمض النووي" إذ يمكن أخذ "جين" (مادة وراثية) من كائن حي ونقلها إلى خلية أخرى فتبدأ (الخلية الآخذة) بإنتاج الصفات المضافة فمثلا في علاج مرض السكري بإدخال "جين" مسؤول عن إنتاج الأنسولين لدى مريض خلاياه عاجزة عن إنتاجه وهي تجربة ناجحة، ولكن كل هذه الإنجازات قد أثارت ردود فعل وقلقا في الأوساط العلمية والأخلاقية لأن التدخل في الجينات هو التدخل في التراث الوراثي، أي التغيير في أصل الكائن وفي الصفات الموحدة التي تنتقل من جيل إلى جيل.

"لقد حدث جنوح بالهندسة الوراثية عن مسارها الصحيح من جانب أصحاب المذاهب والفلسفات التي تخلت عن الإيمان والسمو الروحي وبالغوا في تقديسها وتمجيدها، مما أدى إلى ظهور «النزعة العلمية المتطرفة» الذين يردون كل شيء إلى العلم البشري".²

لقد أعطت جاكين روس اهتمام واضح بموضوع السيطرة على الوراثة إذ ترى "أن المعالجة الوراثية الجزئية هي مجرد توسع تصحيحي شأنه شأن صناعة الطب، عن البحوث الرامية من جهة أخرى إلى تغيير الفرد بجملته".³

إن المعالجة الوراثية الجزئية تهدف إلى تصحيح خلل جيني محدد تشبه في طبيعتها أهداف الطب أي العلاج والوقاية، لكن البحوث التي تهدف إلى تغيير الفرد والمساس بالصفات الجوهرية مثل تحسين المظهر، تعديل الأجنة لتكون أكثر مقاومة للشيخوخة هو أمر غير مقبول لهذا نجد جاكين تميز بين حالتين:

"ففي الحالة الأولى يبدو زرع جينية في خلايا عضوية مجرد أمر مستوحى من أمل تصحيح اضطراب وظيفي... إن تطعيم الخلايا العصبية يثير في الواقع مشكلات معقدة ويعظم ذلك كلما كانت معرفة وراثية

¹ جاكين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، مصدر سابق، ص 113.

² حسان الشمسي باشا: الوراثة والهندسة الوراثية في الجينوم البشري، مرجع سابق، ص 210-211.

³ جاكين روس، الفكرة الأخلاقية المعاصرة، مصدر سابق، ص 114.

الجملة العصبية أسوء، أما الحالة الثانية، تدخل في وراثة الكائن الحي كله فإنها تثير معنى أفضل العوالم...تمزج الأوهام الجمعية بخطر سياسة حياتية".¹

يتضح أنه في الحالة الأولى أن التعديلات الجينية عن طريق زرع الخلايا يبدو أمر سليم خاصة في حالة تصحيح وظيفي، لكن في حالة التعديل على الخلايا العصبية، الأمر ليس بريئاً لأن الجملة العصبية هي مقر الوعي والسلوك والشخصية، أما في الحالة الثانية فهي تتعلق بتعديل على مستوى الجنين أي البويضات أو الحيوانات المنوية من أجل إقامة للعرق الفائق في أفضل العوالم وتحويل الخيال إلى واقع، وفي هذا تقول جاكين روس "فقد كانت أسطورة (فرنكشينييت) آنذاك العالم الذي بنى بشرا صناعيين بأجزاء من الجثث، كانت آنئذ تخامر العقول".²

لقد أصبحت قصة فرانكشتاين واقعا وتعدت الخيال في محاولات زرع الأعضاء، اكتشاف سر الموت ومسألة الروح، كمحاولة لفك شيفرة الحياة، ويتخطى الأمر مجرد ذلك بل يضعنا تحت رؤية فلسفية بعيدة في إمكانية بناء بشر صناعيين حسب الطلب تحت شعار العقل قادر على كل شيء.

¹ جاكين روس، الفكرة الأخلاقي المعاصر، مصدر سابق ، ص 114.

² المصدر نفسه، ص 113.

استنتاج:

ختام لما تم تحليله في هذا الفصل نصل إلى:

- تعد جاكين روس فيلسوفة معاصرة انهالت من مشارب عدة لهذا نجدها تستحضر في أفكارها العديد من الفلاسفة والمفكرين.
- تضع جاكين روس مجموعة من المشكلات تواجه أخلاق الحياة وهي عبارة عن تحديات تشكل أزمة قيم، من بينها العدمية خاصة بإعلان نتشه موت الإله بالتالي انعدام المرجعيات الأخلاقية وإعلان العلمانية كبداية، للفردانية والتمركز نحو الذات بإعلاء قائمة الإنسان.
- إن إدخال العلم إلى مجالات الحياة واتخاذها، الانطلاقة لكل فعل بناء على صدق نتائجه هو عامل سلبي يفضي إلى فراغ أنطولوجي، تجعلنا نعيشه بعدا واحد مما يخلق أزمة اغتراب.
- إن محاولة التدخل في بنية الكائن الحي هو مشروع غير مبرر، لأنه بذلك سيخلق حاجة للمطالبة بحقوق جديدة ستكون هناك فجوة بين إنسان عادي وإنسان محسن جينيا وبالتالي المطالبة بالمساوات البيولوجية.

الفصل الثالث: من الإتيقا النظرية إلى إتيقا الحياة.

المبحث الأول: الإتيقا المعاصرة.

المبحث الثاني: قراءة نقدية لأطروحات جاكين روس .

تمهيد:

في غياب المعنى وتكريس مفهوم الذات فقدت القيم مكانتها وبدأ العلم القادر الوحيد على تقديم الحلول لجميع المشكلات إلا أنه قد ولد العديد من الأزمات، من بينها أزمات بيئية كالانقلابات المناخية، واختلال النظم الأيكولوجية ما أسهم في ظهور أخلاقيات بيئية إلى أن الأمر لم يقف عند هذا الحد فالإعلان بذاته، قد انحرف عن وظيفته إذ أصبح يكرس أنماط استهلاكية ومفاهيم مادية فأنتجت هشاشة في الهوية خاصة مع تعاظم التقنيات، فتحول من أداة لخدمة الإنسان إلى آليات لإخضاعه وإنتاج المعنى الزائف حيث يدس أفكاره بطريقة غير مباشرة ويختزلها في صور لهذا توجه البحث، الى الإتيقا من الجانب النظري والتفكير المجرد والمؤسس على مفاهيم مثالية توجه العقل دون أن تدخل في تفاصيل الحياة اليومية حيث قامت على إلزام أخلاقي صارم إلى إتيقا معاصرة تراعي في تطبيقاتها مسؤولية إلزامية أصبحت أخلاق حية متجذرة في الواقع المعاش ما يجعلنا يتساءلون كيف يمكن للأخلاق أن تتحول من خطاب كوني إلى ممارسة واقعية؟

المبحث الأول: الإتيقا المعاصرة

1. أخلاقيات البيئة:

إن البيئة هي المحيط الذي يحيط بنا ويشمل الغلاف الجوي ومظاهر الطقس والسطح والموقع وما يوجد من مظاهر العمران ووسائل الإنتاج الزراعي الصناعي ووسائل المواصلات، وتتكون من عناصر من صنع الإنسان وأخرى من إنتاج الطبيعة.¹

يشكل موضوع الطبيعة مسألة أخلاقية مهمة خاصة مع التقدم العلمي، الذي له الأثر الأكبر على بيئة الإنسان خاصة التغيرات المناخية والتقلبات الطبيعية، ولعل السبب الرئيسي هو الاستنزاف العشوائي للثروات الطبيعية، وهذا غير مقبول أخلاقيا لهذا كانت الحاجة لدراسة هذه المسألة ضروريا لنقادي القادم، لهذا تناولت "جاكلين روس" هذا الموضوع من زوايا أخلاقية واستعانت كثيرا بأفكار "يونس" فحماية المحيط مسؤوليتنا.

تقول جاكلين " ينصب الاهتمام الآن أيضا على الأخلاق النظرية للبيئة وأخلاق بيئية حريصا على اتخاذ الطبيعة موضوع حقوق بالمعنى الصحيح وهنا يتبين مبدأ المسؤولية لـ (يونس)".²

توضح "روس" أن هناك تحول فلسفي إذ تغيرت النظرة الكلاسيكية للأخلاق حول أنها مبدأ إنساني جوهري وتوسعت لتشمل العالم الخارجي أي البيئة وقد أصبحت فعلا، فرع من فروع الأخلاق التطبيقية خاصة وأن الإنسان من قبل كان يحاول السيطرة عليها وكان ينظر إليها على نحو براغماتي لكن اليوم تؤكد "روس" أن تلك النظرة تغيرت بالمعنى الصحيح أي الفعلي نحو إعادة صياغة حق الطبيعة عبر نصوص قانونية أخلاقية ويتجسد ذلك في مبدأ المسؤولية "لهانز يونس" الذي يشمل حماية الكوكب وحفظ إمكانية استمرار الحياة عليه.

لقد اهتم الكثير من الفلاسفة بموضوع البيئة ونجد من بينهم الفيلسوف الفرنسي "لوك فيري" لهذا حدد ثلاث تيارات مهمة في مجال عالم البيئة تحدد صورتها على النحو التالي:

- التيار الأول: ينطلق هذا التيار من فكرة الإنسان هو جزء هام من الطبيعة يجب الاهتمام والمحافظة عليه، كذلك ينطبق الأمر على الطبيعة في علاقة متبادلة.

¹ عبد الرحمن محمد عيسوى، علم النفس البيئي، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، د ط، 1997، ص14.

² جاكلين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، مصدر سابق، ص 123.

- التيار الثاني: أعطى دلالات أخلاقية للكائنات الحية وعلى الإنسان أن لا يسعى لتحقيق رغباته فقط بل يجب أن يعمل على تقليل آلام الآخرين بما في ذلك الكائنات الغير إنسانية.

- التيار الثالث: اتضحت معالمه بعد عملية نضالية سميت "بحقوق الأشجار" أي الدفاع عن الطبيعة كما هي بما فيها النباتات والموارد المعدنية.¹

من خلال التيار الأول انطلق "لوك فيري" من الإنسان تربطه علاقة قوية بالطبيعة لأن يشكل بالأساس العنصر الأهم منها ووجوده متعلق بها، لهذا لا يمكنه الانفصال عنها، لهذا يجب المحافظة عليها، لأن استمرارها هو استمرار لوجوده، أما التيار الثاني فهو يأخذ بمبدأ المنفعة بمنظور آخر إذ الأمر لا يتعلق بالريح أو الاستفادة بل تحقيق أكبر قدر من العدالة الأخلاقية لجميع الكائنات والقضاء على الآلام والمعاناة ولعل "لوك فيري" نبه لمشكلة باتت اليوم موضوع نقاش دولي وهو حماية الأرض ومستقبل الحياة فقد تلاشت فكرة الإنسان محور ومركز الكون، بل هو جزء من الكون.

أما التيار الثالث كان ظهور مرتبط بحركات نضالية عرفت باسم "حقوق الأشجار" من أجل الاعتراف بكل العناصر الطبيعية العضوية والمعدنية في حقها في الوجود دون إبادتها أو إتلافها فقط في خدمة البشرية.

من خلال ما قدمه "لوك فيري" تبين أن هناك ثورة جديدة تمحو المركزية الإنسانية وفي هذا تقول "روس" "والحق أن ثمة ثورة كوبرنيكية من نوع جديد تندلع لم يبق الإنسان هو الذي يعد مركز مرجعية الذات الكونية بل الطبيعة والحياة"²، لقد تم التخلي عن مركزية الذات الكونية بتغيرات جذرية فالإنسان هو جزء من منظومة أوسع هو ليس المتحكم فيها بل يسير وفق حلقة يتأثر ويتفاعل فيها ضمن نظام الطبيعة في صراع الاستمرار والبقاء، وفق القوانين البيئية لهذا يمكن يتطور الأمر إلى ما بعد الإنسانية خاصة مع وجود الذكاء الاصطناعي نحو الإنسان الآلة لهذا تجاوز الأمر فكرة أن الإنسان السيد على العالم.

2. الإعلام الجماهيري والصناعة الثقافية:

إن التقدم العلمي وتطور وسائل الإعلام والاتصال تجاوز مجرد نقل المعلومات والأخبار إلى التأثير على المجتمعات من الناحية الثقافية، الاجتماعية، الاستهلاكية، مما يعكس قوة تأثيره على الرأي العام وهذا

¹ سواريت بن عمر، قراءة في مصدر النظام الأيكولوجي المعاصر ليلوك فيري، والعقد الطبيعي لميشال سير، مجلة التنوين، المجلد 13، العدد 26، 2021، ص ص 3-4.

² جاكولين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، مصدر سابق، ص 124.

ما جعلنا نضعه تحت مسألة قيمية تتمثل في هل الإعلام الجماهيري يحمل من المصادقية ما يجعله يحفظ الكرامة الإنسانية؟ وهل أصبحت وسائل الإعلام تجارة وفرصة للربح؟

ترتبط وسائل الاتصال الجماهيري بعلاقة متبادلة مع مجتمعاتها شأنها في ذلك شأن أي ظاهرة أخرى وهي تتأثر بالظروف الاقتصادية والاجتماعية لمجتمعها، وتمتد الصلة بين وسائل الاتصال الجماهيري ومجتمعاتها لتشمل مضمون هذه الوسائل ودورها بحيث تختلف كيفية أدائها ومستوى الأداء بتوعية الجمهور.¹

تعد مدرسة فرانكفورت من بين اللذين تفتنوا لما تروج له وسائل الإعلام حول تهينة العقول وجعلها تسير وفق نمطية معينة إذ تؤكد مدرسة "فرانكفورت" أن السيطرة الإيديولوجية التطبيقية تأتي مشروطة بالأساس الاقتصادي، كما تؤكد على اعتماد الأفراد على التطورات التي يطبعها وسائل الإعلام في أذهانهم كآلة للهيمنة، إذ كانت أول من استخدم مصطلح الصناعة الثقافية في 1947 على يد أدرنو دوركايم، وهربرت ماركيز.²

يتضح من خلال ما قدمته "مدرسة فرانكفورت النقدية" أن الهيمنة الفكرية قائمة بالسيطرة على الاقتصاد ومن طرف أصحاب رؤوس الأموال بتعبير "ماركسي" فالمتحكم في الاقتصاد سيكون المتحكم في العالم مثل الولايات المتحدة الأمريكية، وبالتالي السيطرة على إعلام المنظمات العالمية... إلخ، كما تقطن المدرسة لخطر، وسائل الإعلام في توجيه الرأي العام من خلال ما يقدمه فهي تصنع وتبني صور مدروسة وموجهة للتأثير على الأذهان كآلة للهيمنة بطريقة لا واعية وبالتالي فالإعلام يصنع واقع زائف انطلاقاً، من مخطط مسبق فأصبحت الثقافة صناعة وخرجت عن إنتاج وإبداع فني هدفها الربح السريع لهذا تراجعت الكثير من الفنون.

لقد أكد "آدرنو" ذلك من خلال مقارنته عن الإنتاج الصناعي للصناعة الثقافية، إن إنتاج الثقافة بجملته مثل السلع واسعة الاستهلاك سيقضي في النهاية على الإبداع الذي لن يكون إبداعاً، إذ افتقد جماليته وحميميته والعنصر المبدع الذي يتحول في حالة لإنتاج بالجملته إلى مجرد قطعة غيار في جهاز ضخ.³

¹ محمد محمد البادي، الاتصال الجماهيري في المجتمعات النامية، د.ن، د.م، ط 2، 2005، ص 57.

² قرش السعدية، الثقافة الجماهيرية من منظور نقدي (مدرسة فرانكفورت)، المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، م ج 12، ع 1، الجلفة، 2020، ص ص، 815-816.

³ مرجع سابق، ص 816.

لقد أكدت الفيلسوفة الفرنسية "روس" سطحية وسائل الإعلان، فقوة المصدر على الجمهور جعلتهم يبتعدون عن الفهم الحقيقي والعميق خاصة الدعايات والإشارات حيث تقول "أن السرعة التي بها تنتشر صور خاصة انتشارا جماهيريا تشجع النزعة الشهوانية، الهيجانية وغياب البعد، فالحوادث في آخر المطاف لا تبلغ الوجود إلا بقوة الصورة، وهذه التطورات تسهم في رؤية العالم رؤية مباشرة، من حيث النظر إليه نظرة سطحية دون تحليل حقيقي ولا تأمل التلغاز".¹

إن الجمهور المتذوق هو أكثر إدراك للصور دون غيرها، لهذا عرفت سرعة انتشار فهي لا تحتاج إلى فهم عميق بل هناك تفاعل لاحظي مباشر وهي بذلك تستشعر الجانب العاطفي أكثر في غياب البعد، ويقصد بهذا الأخير أن الحدث يختزل في صورة دون الاطلاع على سياقه التاريخي مثلا والاجتماعي... إلخ، وهذا ما يجعلها تستهلك بشكل سطحي وسريع والحدث يسهل انتشاره إذ وضع في صورة وغيابها يضعف وجودها لدى الجمهور، وبالتالي يستهلك ما يراه مباشرة ويكون تأثيره أكبر على المتلقي في غياب النقد، وترويج لما تقتضيه الحاجة وهذا ما انتقده رواد مدرسة فرنكفورت.

تقول "روس" أن تحديد المضمون المذاع في الإعلام الجماهيري لا يمكن إهماله لمجرد حركة السوق وأن مسألة الأخلاق النظرية للإعلام الجماهيري والاتجاه الأمامي لتقنيات الاتصال والذكاء الصناعي والطلب هذه المسألة تؤلف مع الإشكالية البيئية أحد محوري إعادة تركيب فكر التقدم على صعيد الكرة الأرضية اليوم".²

يتضح من خلال ما قدم أن هناك مسؤولية تتعلق بمضمون أي محتوى ما تنتشره وسائل الإعلام بمختلف صورها كإذاعات، القنوات إذ لا يمكن التغافل عن هذه المسألة إذ تخضع لحركة السوق هذا المفهوم هو ذو صلة بمعايير من بينها قانون العرض والطلب، أي ما يعرض علينا وما يطلبه الجمهور بمعنى لا يمكن قبول أي محتوى يطلبه الجمهور أو أبعد من ذلك فيما يخص الربح وارتفاع عدد المشاهدات، إذ ترى "روس" قضية الإعلام الجماهيري وقضية البيئة يشكلان محور مركزي اليوم خاصة بوجود تقنيات الاتصال المختلفة ووسائل التواصل وكذا الذكاء الاصطناعي مما يجعلنا نعيد التفكير في مفهوم التقدم، وهذا يضعنا في مسألة كيف تؤسس منظومة إعلامية أخلاقية؟ وكيف نحمي بيئتنا في ظل المجتمع الصناعي؟

¹ جاكين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، مصدر سابق، ص 129.

² المصدر نفسه، ص 130.

إن قوة الإعلام قد غيرت مفاهيم ونشرت ثقافات دخيلة على مجتمعات حيث تقول "روس" «فالإعلام الجماهيري ينتج قسما كبيرا من الإنسان في عصرنا مبتكرا عالمنا الخيالي»¹، أي أن وسائل الإعلام باختلافها تضع الإنسان المعاصر انطلاقا من الصور والأفكار التي تصنعها وتقلها إلينا لترسخ في الأذهان فتكون بذلك عالم وهمي بعيد عن الواقع فمثلا الأفلام غالبا ما تروج لفكرة أن السعادة بالعيش في رخاء وقصور سيارات فخمة وكأنه ترسخ فكرة السعادة هي بالمال رغم ان السعادة قد تكون في النجاح والعيش بسلام... الخ كذلك الترويج لمشروبات غازية مثل كوكاكولا تظهر دائما في الإشهارات بصورة تزيد من الثقافة الاستهلاكية دون غيرها كما تستخدم في أمور سياسية.

3. السياسة وأخلاقيات التعايش المشترك:

إن علاقة الأخلاق بالسياسة ليست وليدة العصر بل لها امتداد منذ نشأة الحضارات والتجمعات الإنسانية، بحيث ارتبطا هذان المفهومين ارتباطا وثيقا خاصة في العصور الوسطى إذ تمثل السياسة أداة لتحسين القيم الأخلاقية، لكن كان هناك استغلال وتبرير للعنف وللاستعمار عن طريق خطابات أخلاقية تضم "نصرة الخير" وتحقيق العدل، لهذا انفصلت الأخلاق عن السياسة وظهرت ما يعرف "بالعلمانية" وهذه الأخيرة فتحت المجال في العصر المعاصر للكثير من التجاوزات إذ لا وجود للاعتراف لا بالدين أو الأخلاق، تحت شعار "الحرية" لهذا ظهر فرع جديد كعودة لطرح المشكلة القيمية من منظور علمي. تقول جاكين روس "عندما يعرف توجيه المجتمع في أغلبية الأحيان على أنه مجرد تنظيم خالي من التحليل القيمي عندئذ نكتب فكرة الكفاءة التقنية كل تفكير أخلاقي نظري".²

لقد أصبح المجتمع ينظر إليه على أنه تنظيم سياسي أي أنه المسؤول عن تسيير كينونة المجتمع إذ يمثل النظام والقانون ويسعى إلى توحيد نظام المجتمع، وبذلك فهو مجرد من المبادئ الأخلاقية وبالتالي يغيب السؤال القيمي المتمثل في ما الخير؟ ما العدل؟ ما هو الممكن تقنيا؟ في ظل الكفاءة التقنية التي أصبحت ذريعة العلم "فعندما يشعر المواطنون بأنهم غارقون وسط إدارة مغلقة ينبعث عندئذ مطلب أساس أخلاقي... المرغوب فيه إعادة تعريف مثل أعلى، إن إطاره اللاتقة الذي يعيق بالسياسة اليوم يؤدي بالتساؤل عن غايات العمل ووسائله".³

¹ جاكين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، مصدر سابق، ص 130.

² المصدر نفسه، ص 131.

³ المصدر نفسه، ص ص، 131-132.

ترى "روس" أنه عندما ينضج الوعي الوطني، وتظهر حقيقة النظام السياسي في غياب التجسيد الحقيقي للديمقراطية يكون هناك حس قومي، ومطلب إنساني لإعادة إحياء الفكر الأخلاقي لحاجة ملحة نحو إرساء مبدأ أعلى غايته تتجاوز مجرد التسيير والتطور التكنولوجي نحو احترام الكرامة الإنسانية، مما يجعلنا نطرح العديد من التساؤلات حول الغايات والوسائل، هل هدف السياسة خلق النظام أو تحقيق العدل والخير؟ وهل تستخدم في تحقيق ذلك وسائل نزيهة أم وسائل فعالة غير مشروعة وغير مقبولة؟

إن الحياة المعاصرة أصبحت معقدة ومتشابكة في جميع النواحي مما ولد الأزمات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على الرغم من بلوغ الإنسان المعاصر مرحلة الكونية والعلمية إلا أنه يعاني من الصراعات والحروب الناتجة عن الخروج من دائرة الإنسانية والمعايير الأخلاقية.¹

إن كل المشكلات المعاصرة ترجع لسبب واحد هو غياب البعد الأخلاقي والانزياح نحو الطابع المادي، ومنطق السيطرة عن طريق الثورة التقنية.

تؤكد "روس" أن الفكر الأخلاقي لا بد أن يأخذ بعين الاعتبار في المنظور السياسي متخذاً من "بول ريكور" "ورولز" المنطلق لتأييد موقفهما تقول "إن بول ريكور محق في أن آبان أن السياسة تبلغ الفرد على مستوى السلطات التي يقدر عليها وعلى رغبته في الحياة الطيبة التي تحدد البعد الأخلاقي النظري للعمل".² يوضح "ريكور" أن السياسة تخاطب الفرد مباشرة، أي أنه جزء منها حسب إمكانياته ومستوى سلطته، التي يقدر عليها فكل فرد يحمل سلطة انطلاقاً من موقعه الاجتماعي وبالتالي الاعتراف بفعالية الآخر ورغبته في العيش بسلام، في حرية وعدالة إنسانية وهذا مطلب أخلاقي ينبغي احترامه.

إن "بول ريكور" يرى أن نجاح الدولة يجب أن يتحدد بإطاره التاريخي والأخلاقي ومدى الالتزام بمبدأ التسامح والحوار والانفتاح فالمواطنة مرتبطة من الناحية الواقعية، بالتقاطع بين مبدأ الالتزام الأخلاقي وتحمل المسؤولية وكذا الممارسة السياسية.³

¹ فائزة شرماط، الفكر الأخلاقي عند بول ريكور، ألفا للوثائق، الجزائر، ط1، 2015، ص 81.

² جاكليين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، مصدر سابق، ص 132.

³ فائزة الشرماط، الفكر الأخلاقي عند بول ريكور، مرجع سابق، ص 48.

أن "رولز" لا يبتعد عن "بول ريكور" حول ضرورة أن يكون هناك التزام أخلاقي في الممارسة السياسية حتى لا تتحرف نحو اتجاه برغماتي تقول "روس" "أما جون رولز فإنه يوضح أن المبادئ السياسية تستلزم أساسا من النمط الأخلاقي لتكون أساسا واقعا لها".¹

أن "جون رولز" يضع للمبدأ السياسي شرط يتجسد في القانون الأخلاقي، أي أن شرعية المبادئ تبنى بالإيمان الحقيقي بإمكانية تفعيلها داخل النسق الاجتماعي، مما يجعل الأفراد يلتزمون بها طوعا لأنها بذلك تحمل من المصادقية ما يجعلها تضمن حقوق وحرية الأفراد.

4. التقنية وسيطرتها على العالم:

يوجه الإنسان اليوم تحدي الوجهات الرقمية والإغراء التكنولوجي، ويبين إعادة صياغة الهوية الإنسانية وسطوة التقنية على كل الأصعدة، تبرز المشكلة الأخلاقية والإقرار بما يجب أن يكون حول ما تنتجه الآلة وما تسمح به الحدود الأخلاقية، وهذا الموضوع قد أصبح وجهة النقاشات المعاصرة، نظرا للتداعيات التقنية من الروبوتات إلى الذكاء الاصطناعي كخطوة مستقبلية لإعادة تشكيل العالم مما يضعنا تحت دائرة الأسئلة الجوهرية من بينها: هل مازال الإنسان يتحكم في تقنية أم أنه سار أسيرا لها؟ وهل التقنية تعزز العلاقات أم تخلق الهفوات والأزمات؟

إن الواقع التقني الجديد كان مناسباً لبروز إشكال قانوني قائم على التشكيك في مدى توافق القواعد التقليدية للمسؤولية المدنية مع الخصائص الاستثنائية لأنظمة الذكاء الاصطناعي ويعرف هذا الأخير بأنه طريقة لصنع حاسوب أو روبوت يتم التحكم فيه بواسطة الكمبيوتر أو برنامج يفكر بنفس الطريقة التي يفكر بها البشر الأذكياء.²

إن التقنيات الجديدة ساهمت في تأطير قوانين برنامج الذكاء الاصطناعي وفق ما تقتضيه المسؤولية الإنسانية فهو ثمرة العلم، إذ أنه يماثل البشر، إذ يمتلك نظام معلوماتي وشبكات عصبية، اصطناعية، تقوم بالتفكير، تحليل، حل المشكلات لتصل إلى حد اتخاذ القرارات وهي وظائف عقلية موحدة لدى جميع البشر. "إن فكرة خطورة تقنيته ترتسم في سياق جديد عبر تغيرات كيفية للعمل الإنساني، فالتقنيات الجديدة تنجب زيادة قدرات الإنسان زيادة ضخمة، وقد أصبح هو ذاته فاعل تقنياته وموضوعها معا".³

¹ جاكين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، مصدر سابق، ص 132.

² حمدادو لمياء، الذكاء الاصطناعي: نموذج عن التحديات المعاصرة للمسؤولية التقصيرية، مجلة الجزائر للقانون والعدالة، المجلد 10، العدد الأول، الجزائر، 2024، ص ص 135-136.

³ جاكين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، مصدر سابق، ص 18.

أي أن الأمر لم يعد متعلق فقط بالخطر المادي الذي تحدته التقنية بل تجاوز سياقات أنطولوجية وقيمية عبر تحول كلي بواسطة تغيرات نوعية تمس الجوهر الإنساني، كما أن هذه التقنيات مكنت من صنع ما كان مجرد تصور بعيد كل البعد عن التمثل واقعيًا من صنع المناخ، خلق آلات ذكية مطورة... إلخ، لكنه أصبح خاضعًا لما طوره وصنعه، فالإنسان هو من صنع التقنية وهي الآن من تتحكم في صانعها وتعيد تشكيله بطريقة غير مباشرة، وبالتالي أصبح كائنًا مبرمج، بخوارزميات أعدت مسبقًا ومنه فإن «الوضع مشبع بالأخطار الجسام لدرجة أن الإنسان ينزع إلى التجريب والتجديد لا في قطاع خارجي عنه بل في قلب الكيان الإنساني ذاته».¹ فالعالم المعاصر اليوم يعيش حالة من التهديدات بمختلف أشكالها سواء كانت بيولوجية، بيئية وحتى تقنية، ورغم ذلك يبقى الإنسان يصنع ويجرب ويحاول دائمًا تجاوز المألوف لامتلاكه نزعة ابتكار وإبداع، إذ يتجاوز بأبعادها الثلاث (روحا، نفسا وجسدا).

تقول جاكولين روس "عندما تدرك أن العلم يحقق أحيانًا أعظم الشرور فكيف لا تستلزم هذه الأخطار القائلة أخلاقًا نظرية جديدة، إجرائية ومنيرة في السياق المعاصر؟".²

من خلال ما قدم يتضح أن العلم، رغم كونه وسيلة للتقدم والتطور إلا أنه قد يصبح وسيلة دمار إذ استغل لغايات شريرة، وخير مثال على ذلك الأسلحة البيولوجية، القنابل النووية كما حدث في "اليابان" خلفت تشوهات دمار شامل أبيدت قرى بأسرها، كل ذلك يستدعي وضع منظومة أخلاقية توجه الأبحاث العلمية، مستجدة تواكب التطورات التقنية وتكون إجرائية أي قابلة للتطبيق العملي ومنيرة، توجيهية تسهم في صياغة القرارات الأخلاقية في عصر العولمة وتتلخص في "البيوايتقا".

"إن تقنية عصرنا وهي تعبر عن فراغ أنطولوجي... فهي تدعو إلى شفافية التفكير إلى صياغة الأخلاق النظرية حول مبادئ جديدة ونظرية جديدة عن المسؤولية".³

لقد ظهرت وسط هذه التقنيات أزمة وجودية أغفلت البعد الإنساني، ونددت بعصر الفراغ والضياع المعنوي لتشكل أزمة هوية حقيقية بوجود الروبوتات والإنسان الرقمي، لا بد أن تكون هناك رقابة على نتائج العلم من صممها؟ لأي هدف؟ وما هي سلبياتها وإيجابياتها؟ وبالتالي ممارسة التحليل والنقد لكي لا تكون "التقنية" غطاء يخفي تجاوزات أخلاقية لأنها غير بريئة مهما بلغت فعالية عملها، إذ تؤكد "جاكولين روس" على "مبدأ المسؤولية" في صياغة المبادئ الأخلاقية لعصرنا فالأمر يتجاوز الحاضر، نحو المستقبل،

¹ المصدر نفسه، ص 18.

² المصدر نفسه ، ص 18.

³ المصدر نفسه، ص 19.

فقضايا اليوم هي مشكلات المستقبل، فمثلا لو قمنا بتجنيد جيش روبوتات عسكري، وخرج عن السيطرة ليدمر العالم أو طور نظامه ليتحكم هو بنفسه من يتحمل تداعيات ذلك؟ لهذا من الضروري أن نحاول تنظيم مجال الابتكارات ليتناسب مع الطبيعة الإنسانية والعالم الخارجي، لتفادي أي تهديدات قد تعترض وحدة الوجود.

المبحث الثاني: قراءة نقدية لأطروحات جاكين روس:

إن القراءة المتأنية لفكر جاكين روس تكشف عن إسهامات فكرية ومحاولات جادة في إعادة الاعتبار للأسس الأخلاقية في ميدان البيولوجيا إلا أن هذا الإثراء المعرفي لا يمنعنا من نقد أفكارها وتتمثل فيما يلي:

في سياق تناول روس لأخلاقيات الإعلام والتلاعب الوراثي يظهر ميلها إلى نموذج أخلاقي "صلب" مبني على مفاهيم كلية ومعيارية كالكرامة، العدالة والمسؤولية إلا أن هذه المفاهيم بالمقارنة مع عالمنا اليوم لم تعد بتلك الثبات والمصادقية بل أصبحت هشة متغيرة بتغير الزمان والمكان لهذا يرى زيجمونت باومان أننا بحاجة إلى أخلاق مرنة تتسجم مع التغيرات حسب العلاقات والسياقات حيث «يذكر زيجمونت باومان في كتابه الخوف السائل العبارات تؤكد فيها الفرق الكبير بين الحكايات الأخلاقية القديمة مع الحكايات الأخلاقية التي تسود الراهن، وهي الأخلاق السائلة مما يبين تلك الفجوة الكبيرة بين أخلاق الماضي وأخلاق الحداثة السائلة»¹ إن الأخلاق الكلاسيكية تستند إلى ثوابت إذ ترتبط بالمجتمع وتشكل ضميرا مشتركا إلا أنها ذابت وسالت أصبحت فردية وأكثر نفعية براغماتية وبهذا يظهر الانفصال بين الماضي والحاضر.

تركز "روس" على الكرامة والإنسانية ولكنها لا تعطي بعدا كافيا للعلاقات بين الأفراد عكس بول ريكور، وهونيث إذ لا يمكن الحديث عن كرامة دون الاعتراف بها إذ نجد "روس" تتصور ذات منعزلة عاقلة وهذا عكس ما تفرضه السياقات المعاصرة من تفاعلات معقدة حول الذات والآخر «فالذات لا تكتمل وجودها إلا إذا تواجد الآخر كشرط لفعاليتها لأن الذات لا يمكن أن ترى ذاتها إلا من خلال الآخر أو الغير بل إن الآخر هو الذي يدفعها لأن تثبت قدرتها وأن تمارس فعلها الأخلاقي»² يؤكد "بول ريكور" أن الآخر هو مرآة للذات ويتجاوز ذلك ليصبح حافزا ومحركا للفعل الأخلاقي.

أن جاكين تنزلق نحو نزعة قيمية محافظة ونرى في الحداثة انحرافا عن المبادئ الروحية غير أن "هونيث" يرى أن الحداثة رغم مشكلاتها إلا أنها هي السبيل للاعتراف، وهذا ما تغافلت عنه "روس" يرى "إيفيرا هونيث" أن الاعتراف المتبادل الكفيل بوضع حد للصراعات الاجتماعية القائمة على السيطرة والهيمنة والظلم الاجتماعي، ومن ثم يستطيع الأفراد تحقيق ذواتهم، وهذا يتم ضمن علاقات اجتماعية التداونية وهي

¹ كحول سعودي، فايد قواز: العمل الأخلاقي في زمان الحداثة السائلة عن زيجمونت برومان، مجلة المعيار، مج 26، ع 5، قالمة، 2022، ص 136.

² فاييزة شرمات: الفكر الأخلاقي عند بول ريكور، مرجع سابق، ص 28.

علاقات...تتوقف على تحثيث ثلاث نماذج الحب، القانون، التضامن»¹ إن هذا الاعتراف لم يكن ممكنا في المجتمعات التقليدية التي أثنت عليها "روس" إذ أن هذا الصراع القائم على الهيمنة والسيطرة هو محاولة لتحقيق الذات وأن العودة إلى القيم المطلقة، هو نوع من التفوق الأخلاقي فإهمالها لأهمية الاعتراف المتبادل يجعل تصورهما تجريديا ولا يحاكي الواقع والبعد الملموس.

حيث تناقش روس مسألة التعديل الوراثي والتحديات البيئية تجعل خطابها أكثر عقلانية، حيث يختزل الإنسان في ذات واعية وفي هذا فهي تتجاهل أن الإنسان كائن مركب له أبعاد متشابكة كالبعد البيولوجي، العاطفي، التقني، الاجتماعي وحتى الرمزي ويتقاطع هذا التصور مع رؤية "فرنسيس داغوني" إذ يدعو إلى خطاب أخلاقي مركب وتوجيه الأبحاث إلى قضايا اليومية إذ أننا تجاوزنا البحث في المفاهيم ومحاولة تفكيكها ومنه «يؤكد فرنسوا إلى ضرورة توجيه البحوث الفلسفية إلى العناية بالواقع أكثر والابتعاد عن الميتافيزيقا، لأن وظيفة الفلسفة تعايش الواقع، وذلك بعلاقاتها بالعلوم بشكل عام وعلم البيولوجيا على وجه خاص»² يرفض داغوني العودة إلى الميتافيزيقا لأن ذلك غير مجدي في السياق المعاصر فقد تجاوزها الزمن فمحاولة استرجاع المبادئ القيمة الكلاسيكية التي تنادي بها "جاكلين" ليست هي الحل إذ يجب إعادة قراءة التحولات العلمية بصيغة نقدية من خلال فلسفة تلتصق بالحياة لا هاربة منها خاصة في ميدان البيولوجيا لأنها ستطرح قضايا خاصة بالهوية الإنسانية.

تتحدث جاكلين روس عن إعادة الاعتبار للهوية الإنسانية في زمن الفوضى القيمة إلا أنها تتصور الهوية الإنسانية كمعطى ثابت حيث تتجاهل أنها محل نزاع بين قبول ورفض إذ أنها منفتحة على التحول والتشظي وهو ما تطرحه "جوديف بيتلر" من خلال قراءتها النقدية للهوية إذ تقول "سوف يكون من الخطأ أن نظن أن النقاش حول "الهوية الجندر؟ يجب أن يحدث" قبل أي نقاش حول الجندر وذلك لسبب بسيط هو أن الأشخاص لا يصبحون مفهومين بشكل واضح (Intelligible) إلا عندما يصبحون مجندرين (becoming gendered) في تطابق مع المناويل المعترف بها عن معقولة...الجندر".³

¹ فاطمة فرودة أكسيل هونيت: براديجم الاعتراف نحو تأسيس عدالة اجتماعية أخلاقية، مجلة مقاربات فلسفية، مج 08، ع1، الجزائر، 2021، ص 122.

² مجكدود ربيعة: مستجدات البيولوجيا من المجال البيو-أخلاقي إلى التوجه البيو-سياسي في فلسفة فرانسوا داغوني، مجلة سلسلة الأنوار، مج 13، ع2، الجزائر 2023، ص 298.

³ جوديث بتلر: قلق الجندر النسوية وتخريب الهوية، تر: فتحي المسكيتي، المركز العربي للأبحاث والدراسات، بيروت، ط1، 2022، ص.ص 92-93.

وبهذا فإن جوديث بتلر تنفي الاعتقاد بأن تحديد الهوية يسبق تحديد الجنس (ذكر/أنثى) حيث أن المجتمع لا ينظر للشخص على أنه مفهوم إلا إذا تطابقت هويته الجندرية مع النماذج المقبولة اجتماعيا فمثلا عندما يولد طفل بناء على صفاته الفيزيولوجية يتم معاملته كذكر أو أنثى وبهذا فرض عليها الجندر قبل أن تتكون هويته، أما إذا قام بتغيير صفاته إلى أنثى سيقصى من دوائر الاعتراف ويعتبر شخص غير طبيعي. وهذه النقطة بالذات لم تتناولها "جاكلين روس" إذ تتغاضى عن الطابع المركب للهوية الإنسانية، ويكون تصويرها الأخلاقي محدود غير قادر على استيعاب التعقيدات الجديدة.

لقد تطرقت "جاكلين روس" إلى العديد من القضايا الراهنة لكنها اكتفت بالتنظير ولم تقدم حلول ملموسة تحاكي الواقع.

استنتاج:

من خلال تحليلنا لهذا الفصل نصل إلى:

- لقد شملت البيوايتيكا الأخلاقيات البيئية عبر بنود ونصوص قانونية تجسد مبدأ المسؤولية ليهانز يوناس.
- لقد انطلقت "جاكسين روس" في إبراز علاقة الإنسان بالطبيعة من خلال "لوك فيري" إذ وضع ثلاث تيارات مؤكدة على أن الفرد جزء من العالم وهو خاضع لنظام الطبيعة في علاقة تبادل وتأثير وتأثر.
- إن وسائل الإعلان الجماهيري تستشعر الجانب العاطفي فالحدث يختزل في صور، دون المرور على سياقاتها الاجتماعية، الثقافية لهذا تستهلك بشكل سطحي، فلم تعد تحمل تلك المصادقية لأنها أصبحت تركز لخدمة المصالح الشخصية وتميرير الإيديولوجيات في حين كان عليها العمل على إعادة الاعتبار للجانب الأخلاقي.
- لقد انفصلت الأخلاق عن السياسة منذ العصر الحديث مع العديد من الفلاسفة أمثال ميكافلي إلا أن جاكسين ترى أننا بحاجة إلى إعادة تلك العلاقة بمفهوم معاصر لتجسيد القانون الأخلاقي في القانون السياسي.
- لقد أصبحت التقنيات الحديثة وبرامج الذكاء الاصطناعي تماثل البشر وتقوم بعملهم من تفكير وتحليل وهنا تكمن خطورة التقنية، يصبح الإنسان يستهلك الجاهز دون وضع لمستته الإبداعية في مختلف المجالات، الفنون، إنجاز البحوث...إلخ.

خاتمة

خاتمة:

- من خلال ما تم عرضه وتحليله في بحثنا هذا نصل إلى مجموعة من النتائج كالتالي:
- إن ماهية البيواتيقا لا تختزل في كونها أحد فروع الأخلاق التطبيقية بل تعبر عن رؤية جديدة للإنسان المعاصر كما تعبر عن حاجة إنسانية في موازنة العقل العلمي والضمير الأخلاقي كما تربطها جاكين روس بالالتزام والمسؤولية.
 - إن البيواتيقا مبحث جديد إلا أنها تمتد إلى عمق التاريخ من الفلسفة اليونانية حيث نجد كل من "أبقراط" من خلال قسمه المشهور وكذلك نجد الفلسفة الرواقية من خلال نظريته للطبيعة وعلاقتها بالإنسان كتجسيد للأخلاقيات البيئية أما في العصور الوسطى كانت الأخلاق مرتبطة بالمعتقدات الدينية إذ هيمنة الكنيسة على المجال الطبي والعلمي لكن الأمر اختلف في الحضارة الإسلامية إذ ظهر علماء وأطباء مزجوا بين العلم والفلسفة والأخلاق أمثال (الرازي وابن سينا إذ قدموا رؤية متكاملة خاصة في مجال الطب).
 - لقد كانت بداية العصر الحديث نقطة تحول جوهرية في مسار الفكر والعلم، حيث حدثت قطيعة بين العلم والأخلاق وساد النموذج التجريبي والوضعي وظهرت ممارسات طبية تجريبية كثيرة دون ضوابط أخلاقية خاصة مع تطور علم البيولوجيا.
 - لقد مثلت بداية العصر المعاصر الانطلاقة الفعلية لظهور هذا المبحث الجديد المتمثل في "البيواتيقا" الذي كان استجابة لتحولات عميقة مست جوهر الكائن الحي لضبط حدود التدخل العلمي وتأطير الممارسة التكنولوجية، لهذا تم صياغة مجموعة من المبادئ التي تحمي الكرامة الإنسانية.
 - إن أخلاق الحياة تواجه مجموعة من التحديات والعقبات نجد من بينها انهيار الأنظمة الفكرية الكبرى التي كانت تحدد القيم مما كرس مفهوم الفردية وأصبح هناك غياب المعنى في ظل العدمية أصبح التركيز على الجوانب المادية والإيمان المفرط بالعلم كل هذا، يضعف القدرة على بناء منظومة أخلاقية متماسكة لهذا سلطت جاكين روس الضوء على هذه المشكلات محاولة البناء عليها.
 - لقد كانت حدود التدخل في الكائن الحي لا تخرج عن الجانب العلاج والوقائي إلا أنها انفلتت لتدخل في نطاق ما يعرف بإعادة هيكلة الحياة من تحسين النسل إلى إطالة أمد الحياة وتدخل في أدق تفاصيل الكائن الحي، لهذا شددت جاكين روس على مبدأ المسؤولية لأننا في مواجهة انزلاق خطير من التدخل في الحياة إلى إعادة تصميمها، الأمر الذي ولد مسألة وجودية أولا وأخلاقية ثانيا.

خاتمة

- إن العبث بالجهاز الوراثي ومحاولة ضبط الجهاز العصبي تصب في مشروع أكبر حسب رؤية "روس" يراد به إعادة تشكيل الإنسان فيما يعرف بـ "الإنسانية المتحولة"، إذ يحمل مخطط إستراتيجي للتفوق الجيني حيث يغدو الجسد والعقل مجالين للهيمنة وتحقيق أهداف معينة باسم العلم والتطور.
- لقد حاولت جاكين روس أن تدخل الإتيقا إلى القضايا المعاصرة لتأسيس إتيقا خاصة بالحياة اليومية، مما جعلها تتوجه بالنقد والمسألة في معالجتها لبعض القضايا نجد من بينها أخلاقيات البيئة لأننا مسؤولين على حماية كوكبنا، كما تطرقت إلى أخلاقيات الإعلام الجماهيري والخطر الذي تحمله الصور إذ تختزل المعاني وتكسر النمطية والعنف، كما نوهت إلى طغيان التقنية على حياتنا وعلاقتنا بالآخرين في زمن أصبحت فيه التكنولوجيا المتحكم المصمم بل إلى أبعد من ذلك نحو بنية للوجود ذاته.
- إن أبرز ما تعرضت له جاكين روس من انتقاد هو نزعتها المعيارية واعتمادها على نموذج أخلاقي صلب، إذ تركز المفاهيم المطلقة المجردة في حين أن عصرنا تجاوز ذلك فهي لا تقدم حلول فعلية بل أفكار نظرية تحاول ربطها بقضايا معاصرة.

قائمة المصادر

والفراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً-المصادر:

1. جاكين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، تر: عادل عوا، عويدات لنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، ط1. 2001.
2. جاكين روس: مغامرة الفكر الأوروبي قصة الافكار الغربية، تر: أمل ديبو هيئة ابو ضبي للثقافة والتراث ، الإمارات ط1. 2011.
3. جاكين روس: المناهج في الفلسفة، تر: عبد العزيز ركح، مركز نماء للبحوث و الدراسات، بيروت، ط1، 2020.

ثانياً-المراجع:

1. آن دوبرواز: خفايا الدماغ ،تر: زينة دهبي، المجلة العربية للنشر ، الرياض، ط1، 2015.
2. احمد عبد الله مباركي: طرق تحسين النسل البشري دراسة فقهية، دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض. ط1 2018.
3. إمانويل كانت :تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق عبد الغفار مكاوي ، منشورات الجمل، المانيا، ط1، 2008.
4. إمانويل كانط: مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة ان تصير علما اسس ميتافيزيقا الاخلاق ،تر: نازلي اسماعيل حسين ومحمد فتحي الشنيطي، موفهم لنشر ،الجزائر، 1991.
5. بول تورنييه: يوميات طبيب في ضوء الكتاب المقدس، تر: ماهر نكلس نسيم ،مكتبة دار الكلمة للنشر والتوزيع ،القاهرة، ط1. 2014.
6. تشارليز داروين: أصل الانواع، تر: مجدي محمود المليجي، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 2004.
7. جعفر حسن عتريسي: الاستنساخ جدل العصر، دار الهادي للطباعة والنشر ،لبنان، ط1. 2002.
8. جون رولز: نظرية في العدالة ، تر: ليلى الطويل منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011.
9. جوديث بتلر: قلق الجندر النسوية وتخريب الهوية تر: فتحي المسكني، المركز العربي للأبحاث والدراسات، بيروت، ط1، 2022.
10. جوديث بتلر :الذات تصف نفسها ،تر: فلاح رحيم، دار التنوير للطباعة و النشر والتوزيع، تونس، ط1، 2024.

قائمة المصادر والمراجع

11. خالد حربي :سر صناعة الطب لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي، دار الثقافة العلمية الاسكندرية، مصر، ط1، 2000.
12. رحيم محمد الشياح: مدخل إلى فلسفة الأخلاق التطبيقية ، دار ومكتبة المرهج لطباعة والنشر، بيروت، 1987.
13. ريتشارد ووكر الجينات وال DNA ، تر : منتدى إقرأ الثقافي الدارالعربية للعلوم ، لبنان ، ط 1 ، 2006.
14. زياد احمد سلامة :أطفال الأنابيب بين العلم والشرعية، الدار العربية للعلوم،لبنان ،ط1. 1996.
15. سعيد محمد الحفار: البيولوجيا ومصير الإنسان، عالم المعرفة، الكويت ، ط1، 1984.
16. سامي عامري : العلمية الأدلجة الإلحادية للعلم في الميزان، رواسخ، الكويت، ط1، 1986.
17. سمية بيدوح، فلسفة الجسد، دار التنوير لطباعة والشر ، لبنان، 2009.
18. سيد عويس: الخلود في التراث الثقافي المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، 1999.
19. سعد عبد العزيز عبد الله الشويرخ: أحكام الهندسة الوراثية، دار كنوز إشبيليا لنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2007.
20. عايش محمود الزيتون: مدخل الى بيولوجيا الإنسان ،جمعية عمان للمطابع التعاونية، الأردن ط2، 1987.
21. عثمان عمر الجاحظ: تهذيب الاخلاق، دار الصحابة للتراث، مصر، ط1، 1989.
22. عثمان امين: الفلسفة الرواقية، مطبعة لجنة للتأليف والنشر، القاهرة، ط1، 1945.
23. عبد اللطيف محمد احمد: أخلاق الطبيب رسالة لأبي بكر الرازي الى بعض تلاميذه، مكتبة دار التراث، ط 1 القاهرة، 1977.
24. عبد الوهاب الميسري: الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ ، دار الشروق ، القاهرة، ط1. 1997.
25. عبد الحكيم أحمد عثمان: موانع الحمل الدائمة والمؤقتة بين الحل والحرمة، دار الجامعة الجديدة لنشر ، الإسكندرية، ط1. 2006.
26. عبد الرحمن محمد عيسوى، علم النفس البيئي، منشأة المعارف بالإسكندرية مصر ، 1997.
27. غرهوب : العرب في المحرقة ضحايا منسيون؟، تر:محمد جديد، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق، ط1 2006.
28. فاييزة شرماط : الفكر الأخلاقي عند بول ريكور، ألفا للوثائق، الجزائر، ط 1 ، 2025.

قائمة المصادر والمراجع

29. قيس بن محمد آل الشيخ مبارك: التداوي والمسؤولية الطبية في الشريعة الإسلامية، دار الفارابي للمعارف، سوريا، ط 3 2006.
30. محمد ماهر مهران رشوان: تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية ، دارقباء، القاهرة، 1998.
31. مصطفى غالب :أبقرط سلسلة في سبيل موسوعة فلسفية ،دار ومكتبة الهلال،بيروت،1987.
32. محمد عبد الباعث الصيحي: أساسيات علم الوراثة، كلية الزراعة جامعة،الاسكندرية، 2012.
33. محمد زياد حمدان: الدماغ والإدراك والذكاء والتعلم ، دار التربية الحديثة، الأردن ، ط1. ، 1986.
34. محمد محمد البادي:الإتصال الجماهير في المجتمعات النامية،ط2. 2005.
35. نهلة الحمزاوي : فلسفة الاخلاق، وزارة الثقافة ، عمان. ط 1، 2021.
36. ناهدة البقصمي: الهندسة الوراثية والاخلاق، عالم المعرفة، الكويت ، ط1 1993.
37. وجدي عبد الفتاح سواحل: الهندسة الوراثية الاساليب والتطبيقات في مجال الجريمة ، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية مركز الدراسات والابحاث ، الرياض، 2006.
38. يورغن هابرماس،إتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة ،تر:عمر مهيل، الدار العربية للعلوم ناشيون ، لبنان ، ط1.، 2010.

ثالثا-المعاجم والموسوعات:

أ-المعاجم:

1. إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط ، ج 1، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط2، 1972.
2. عبد المنعم الحنفي : المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 3.، 2000.
3. محمد رواس قلججي وآخرون: معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1996.
4. مراد وهبة: المعجم الفلسفي ، دار قباء الحديثة، القاهرة ، ط5.، 2007.

ب-الموسوعات:

1. أندري لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت ،باريس،مج1، ط2، 2001.
2. خالد بن جمعة بن عثمان الخراز: موسوعة الأخلاق، مكتب أهل الأثر،مج1، ط1، الكويت، 2009.

قائمة المصادر والمراجع

رابعاً-الرسائل الجامعية:

1. بن أعرم مفتاح :معالم خطاب ما بعد الحداثة في الفكر الغربي المعاصر يورغن هابرماس أنموذج ،أطروحة لنيل شهادة دكتوراه ،قسم الفلسفة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة خميس مليانة 2023.

خامساً-المقالات العلمية:

1. بن سباع محمد :الفلسفة الإيكولوجية عند هانز يونس نحو اخلاق جديدة لمستقبل الطبيعة والانسانية، مجلة العلوم الإنسانية الاجتماعية، مجلد 15 ، العدد 26 ، قسنطينة، 2018.
2. بن يكن عبد المجيد :الحضارة العربية وتفاعلها مع الحضارة الاسلامية ، مجلة التراث، مج 01، العدد، 31 ،خنشلة،2019.
3. بلمدني سعد ،شريف الدين بن دويه : أخلاقيات الحياة (البيواتيقا) في الإسلام ،مجلة الساورة للدراسات الإنسانية و الاجتماعية ، المجلد7، العدد02، الجزائر ،2021.
4. تودسي محمد :إبداع المنهج التجريبي في الحضارة الإسلامية وإنتقاله إلى أوروبا في العصور الوسطى، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، مجلد 6، العدد01 الأغواط، 2021.
5. حسان شمسي باشا :الوراثة والهندسة الوراثية في الجينوم البشري، مجلة الثقافة الإسلامية ، مجلد 13 ، العدد 01 الجزائر، 2017.
6. حمدادو المياء ،الذكاء الإصطناعي نموذج عن التحديات المعاصرة المسؤولية التقصيرية ، مجلة الجزائر للقانون و العدالة ،مجلد10، العدد02، الجزائر ،2024.
7. روزة يونس ، العدالة من "رولز" الى " هابرماس"، ومن "هابرماس" الى "رولز"، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية المجلد 10 ،العدد 21 ، الجزائر ، 2022.
8. سواريت بن عمر :قراءة في مصدري النظام الإيكولوجي المعاصر ل لوك فيري ،والعقد الطبيبي لمشال سير،مجلة تدوين،المجلد 13،العدد 26، وهران ،2021.
9. صادق جباري: الفلسفة والازمات ، ازمة العدمية ازمة المعنى، أزمة القيم ،ازمة العلوم ازمة المصير الانساني، مجلة ابعاد ، مجلد 10،العدد 02، الجزائر 2023.
10. علال أحمد ، خن جمال : التحسين الجيني وتداعياته على المستقبل البشري، مجلة المحترف للعلوم الرياضية والعلوم الإنسانية و الاجتماعية ، مجلد 08، العدد 4 الجزائر 2001.

قائمة المصادر والمراجع

11. فايزة بغياني: الغادب الروسي كمدخل لإنسانية التضحية، عند إيمانويل لفيناس، مجلة جسور المعرفة، مجلد 10، العدد3، الجزائر 2024.
12. فيصل دبوب : المشاهدات الطبية من أبقرط الى الرازي ،مجلة المورد، مجلد6،العدد 4،العراق، 1977. فاطمة فرفودة :أكسيل هونيث براديغم الإعتراف نحو تأسيس عدالة اجتماعية أخلاقية ،مجلة مقاربات فلسفية ، مجلد 08، العدد 1 ، الجزائر، 2022.
13. قرش السعدية : الثقافة الجماهيرية من منظور نقدي (مدرسة فرنكفورت)، المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 12 العدد01، الجلفة، 2022.
14. قواسم بن عيسى ميديولوجيا الجسد بين التنميط الإستطقي والتبضيع التجاري ، مجلة الرسالة للدراسات الإعلامية، مجلد 04، العدد 01 ، سعيدة، 2020.
15. كحول سعودي ،فايد فواز : العمى الأخلاقي في زمان الحداثة السائلة عند زيجمونت باومان، مجلة المعيار ،مجلد26، العدد5، قالمة، 2022.
16. كمال العرفي، بشير بن لعيرم : مبدأ الكرامة الإنسانية وأثاره في الامن الإنساني، مجلة الأحياء، مجلد 23 العدد 32،، قسنطينة، 2023.
17. محمد بوحجلة البيواتيقا كفلسفة جديدة ومسالة الكرامة الانسانية، المجلة الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 12 ، العدد 01، الجزائر ، 2019.
18. مكجود ربيعة:مستجدات البيولوجيا من المجال البيو_أخلاقي من التوجه البيو_سياسي في فلسفة فرانسوا داغواني،مجلة سلسلة الأنوار، مجلد13، العدد 2،الجزائر، 2013.
19. مالك سماح: يورغن هابرماس من الحداثة الى التواصل، مجلة الرسالة للدراسات الاعلامية، المجلد 6، العدد 01، الجزائر ، 2022.
20. محمد بوشافة ، جاكليين روس وتحولات الخطاب الاخلاقي لما بعد الحداثة ، مجلة مقاربات مقاربات فلسفية، مجلد 10 العدد01، الجزائر ، 2023.
21. نعيمة عبد الغفار: بين الامام الرازي (606 هـ) والعلامة الالوسي (1270 هـ) درس في مناهج الفكر والتأليف ،مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، مجلد 27 ، العدد 2، وهران، 2018.
22. نور الدين رحمون :كرامة الإنسان والممارسات البيوطبية والبيوتكنولوجية المعاصرة ،مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مجلد 6 ، العدد01 الجزائر ، 2021.

قائمة المصادر والمراجع

23. هشام مصباح، ماكس شيلر ونقد الاخلاق الصورية الكانطية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ،
مجلد 7، العدد 14، الجزائر، 2018
سادسا: المواقع الإلكترونية:

1. <http://ar.wikipedia.org/wiki>.

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
	الشكر والعرفان
	الإهداء
أ-د	المقدمة
الفصل الأول: ماهية البيوايتيقا	
06	تمهيد
07	المبحث الأول: مفهوم البيوايتيقا.
07	1. الدلالة اللغوية
10	2. الدلالة الاصطلاحية
12	المبحث الثاني: الخلفية التاريخية لظهور البيوايتيقا.
12	1. مراحل ظهورها
12	2. الثورة البيولوجية
25	المبحث الثالث: مبادئ البيوايتيقا.
25	1. مبدأ الكرامة الإنسانية
25	2. مبدأ المسؤولية
26	3. مبدأ احترام قدسية الجسد
28	الاستنتاج
الفصل الثاني: التنظير الفلسفي لأخلاق الحياة عند جاكين روس	
30	تمهيد
31	المبحث الأول: جاكين روس حياتها ومرجعيتها الفكرية
31	1. حياتها ومؤلفاتها
32	2. مرجعيتها الفكرية
32	أ. إيمانويل ليفيناس واللقاء مع الآخر
34	ب. الأخلاق النظرية عند كانط
35	ج. جون راولز العدالة كإنصاف
36	د. د. هانز يونس أخلاق المستقبل
37	هـ. يورغن هابرماس إتيقا المناقشة
39	المبحث الثاني: عقبات الأخلاق الحياتية
39	1. العدمية وموت الإيديولوجيات

40	2. الفردية وإفلاس المعنى
41	3. العلمية والوضعية
42	المبحث الثالث: إعادة صياغة الكينونة البشرية
42	1. تحسين النسل
44	2. تغيير الدماغ
45	3. إطالة أمد الحياة
47	4. التحكم في الجهاز الوراثي
50	الاستنتاج
الفصل الثالث: من الإتيقا النظرية إلى إتيقا الحياة	
52	تمهيد
53	المبحث الأول: الإتيقا المعاصرة
53	1. أخلاقيات البيئة
54	2. الإعلام الجماهيري والصناعة الثقافية
57	3. السياسة وأخلاقيات التعايش المشترك
59	4. التقنية وسيطرتها على العالم
62	المبحث الثاني: قراءة نقدية لأطروحات جاكين روس
65	الاستنتاج
67	الخاتمة
70	قائمة المصادر والمراجع
77	فهرس المحتويات

عاجت الدراسة المعنونة ب: "البيواتيقا عند جاكلين روس" أهم المحطات الكبرى في قيام هذا الفرع الجديد، من منظور "روس" في ظل التحولات المتسارعة التي عرفها العلم خاصة في ميدان البيولوجيا و التكنولوجيا الحيوية، مؤكدة على ضرورة العودة إلى الإتيقا و محاولة إدخالها ضمن مجال الأبحاث العلمية إنطلاقا من مبدأ المسؤولية فأخلاق الحياة تمثل منعطفًا فلسفيًا، في مسألة و مواجهة الاختلالات التي سببتها الحادثة في قلب المفاهيم الإنسانية و تفكيك المعايير الأخلاقية، حيث نسعى من خلال هذه الدراسة إلى إبراز خصوصية الطرح الفلسفي الذي تقدمه "جاكلين روس" من خلال تحليل موقفها من قضايا معاصرة نحو إعادة هندسة الحياة. لهذا فالحاجة ملحة إلى استحضار وعي أخلاقي مشترك قائم على متابعة ونقد علمي من أجل إعادة الاعتبار للكرامة الإنسانية وسط هذا التمزق القيمي، فنجعل من الإنسان غاية لا وسيلة تحكمها التجارب والاستغلال العلمي للجسد البشري ما يكرس مفهوم التشيئي فيخلق بذلك ازيمات وجودية وقيمة.

الكلمات المفتاحية: البيواتيقا، البيولوجيا، الإتيقا، التكنولوجيا، أخلاق الحياة، مبدأ المسؤولية، الحادثة، هندسة الحياة، الكرامة الإنسانية، التشيئي.

Abstract:

The study entitled "*Bioethics According to Jacqueline Russ*" addresses the major milestones in the development of this emerging field from the perspective of Jacqueline Russ. It situates her thought within the context of the rapid transformations that science—particularly in biology and biotechnology—has undergone. The study underscores the urgent need to reintegrate ethics into scientific research, based on the principle of responsibility. For Russ, the ethics of life represent a philosophical turning point in confronting the disruptions caused by modernity, which has destabilized human concepts and dismantled moral frameworks. This research aims to highlight the uniqueness of Russ's philosophical approach by analyzing her position on contemporary issues related to the re-engineering of life. In this regard, there is a pressing need to awaken a shared ethical awareness, grounded in critical scientific oversight, to restore human dignity in the midst of deep moral dislocation. The human being must once again be regarded as an end in itself—not a means subject to experimentation and scientific exploitation of the body, which perpetuates objectification and gives rise to existential and ethical crises.

Keywords: Bioethics, Biology, Ethics, Technology, Ethics of Life, Principle of Responsibility, Modernity, Life Engineering, Human Dignity, Objectification.